جورج شحادة

مهاجر بريسبان

ترجمة وتقديم

فتحي العشري



دار المعارف بمصر

L'Emigré de Brisbane

Par

Georges Chéhadé

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . ع . م .

مهاجر بریسبان

جورج شحاده

عودة إلى أحضان الطبيعة

بعد أن اقتنع المشرفون على مسرح « الكوميدى فرانسيز » العريق باتجاه العبث أو اللامعقول اختتمت الفرقة موسم ٦٥ — ٦٦ بمسرحية « الجوع والعطش » « لأوجين يونسكو » ثم افتتحت موسم ٦٧ — ٦٨ بأحدث مسرحيات الكاتب السكندرى المولد ، البيروتى النشأة ، الباريسى الإقامة وممارسة الحياة ، جورج شحاده .

وقبل أن نتكلم عن جورج شحاده يجدر بنا أن نعرف شيئاً عن « مهاجر لبنان » مولداً ونشأة وإقامة ، ثم نعرف شيئاً آخر عن فنه المسرحى .

ولد جورج شحاده بالإسكندرية عام ١٩٠٧ وتلقى تعليمه الابتدائى فيها . . ثم رحل عنها إلى بيروت حيث أتم دراسته الثانوية والجامعية بكلية الحقوق . لم يشتغل بالمحاماة ولكنه تمرس بالأدب الفرنسى وانغمس فيه فبدأ يكتب الشعر السريالى الذى انتهى به إلى الكتابة للمسرح .

وأثارت أولى مسرحيات شحاده عندما عرضت على المسرح لأول مرة عام ١٩٥١ معركة حامية بين نقاد الصحف والمجلات من ناحية ، والشعراء

السرياليين وعلى رأسهم أندريه بريتون ورينيه شار وهنرى ميشو وسان جون برس من الناحية الأخرى . . وانتهت المعركة بالموافقة على استمرار عرض المسرحية . . فظلت تعرض فترة أطول مما كان مقدراً لها من قبل .

أما المسرحية فاسمها « السيد بوبل» Monsieur Bob'le . والسيد بوبل شاعر يحب الترحال ، ويبرر ترحاله بأنه رجل أعمال ، يعيش مع أهالى قريته الذين يحبونه ويحترمونه ويلتزمون بتعاليمه التى ضمنها كتاباً صغيراً وزعه على أهالى القرية . وهو يشيع فى القرية دفء الحكمة ونبض الحياة . . ويستعد بوبل للرحيل فى الفصل الأول ، يعاونه فى ذلك خادمه أرنول . ويأتى أهالى القرية لوداعه . . وقبل أن يغادر البيت ينفرد طويلا بكلبه الصديق « إكسلسيور » يستأذنه فى الرحيل .

وفى الفصل الثانى نرى القرية فى انتظار شاعرها الغائب وهى سعيدة هانئة بتلقى أخباره وأخبار عودته . . أما بوبل فكان يقيم بإحدى الجزر يسعى إلى اكتشاف معادنها الثمينة المخبوءة فى باطن الأرض . . ولكنه سرعان ما يسأم الحياة فى جوف الوحدة وقلب العزلة فيقرر العودة إلى القرية .

ويحمله الفصل الثالث على ظهر إحدى السفن الكبيرة عبر المحيط ولكن مرض القلب يداهمه فى عرض البحر فيضطر قبطان السفينة إلى إنزاله عند أول شاطئ . . ويودع السيد بوبل بأحد المستشفيات بينما البحارة والركاب يصرون على انتظاره عند الشاطئ حتى يشفى من مرضه

ويعود إليهم. . وهكذا يطلقون صفارات الباخرة لتحيته بين الحين والحين . . لكن السيد بوبل يطلق أنفاسه فى النهاية حتى يسمح للسفينة بأن تستأنف رحلتها وتغادر الميناء .

ومع مطلع عام ١٩٥٤ قدم المخرج العبقرى جان – لوى بارو مسرحية شحاده الثانية «أمسية الأمثال» La Soirée des Proverbes فاقترن اسم شحاده بكتاب الطليعة أو بمسرح العبث أو اللامعقول ولكنه احتل مكانة خاصة بين هؤلاء الكتاب الطليعيين لأنه كان الوحيد من بينهم الذى يكتب للمسرح الشعرى منضماً بذلك إلى كل من جان جيرودو وبول كلوديل وجان كوكتو . .

و « أمسية الأمثال » تحكى مغامرات شاب اسمه أرجنجورج يحاول الانضمام إلى سهرة يقيمها شيوخ المدينة ، الذين يسترجعون شبابهم باستدعاء ذكريات الماضى . ولكنه يحس بالفارق الزمنى والفكرى بينه وبينهم وكذلك يحسون هم بهذا الفارق فيصبح الانسجام بينهم أمراً مستحيلا . . ويفد إلى المكان صياد يدعى أليكس يمزقه اليأس ويستبد به الملل فيجد فى أرجنجورج ، الذى يشبهه تماماً ، صورة لشبابه الضائع فيقتله برصاص بندقيته لأنه على العكس من كل هؤلاء الشيوخ لا يريد أن يسترجع شبابه ولا يرغب فى استدعاء ذكريات الماضى . . إنه لا يؤمن بالحياة ويرى فيها شيئاً خالياً من المعنى . .

وفى نهاية موسم ١٩٥٦ عاد جان – لوى بارو فقدم مسرحية شحاده

الثالثة « حكاية فاسكو » L'histoire de Vasco على مسرح « ريزيدنز » بزيوريخ .

وكما أثارت مسرحية « السيد بوبل » زوبعة بين النقاد أثارت هذه المسرحية زوبعة أخرى ولكن بين الساسة ورجال الأمن ، فقد قيل فى طلب مصادرتها إنها « صرخة احتجاج على حرب الجزائر » . .

وفاسكو حلاق لا همّ له فى الحياة إلا أن يبرع فى مهنته ويصبح علماً مشهوراً فى دنيا الحلاقة . . ولكنه رجل عادى ، والعادى من الرجال لا يصلح إلا لأن يكون دمية يحركها غير العادى كما يشاء . . وفعلا يختاره الجنرال ميرادور ليقوم بتوصيل رسالة إلى كتيبة من جنوده محاصرة داخل أرض الأعداء . . إن فاسكو خائف ومذعور ، إذ لا عهد له بمثل هذه المهام الحربية ولا مثيل له بأرض الميدان، فمهمته هى الحلاقة ولا يعرف لنفسه ميداناً سواها ، ولكن ميرادور مطمئن إلى نجاح المهمة بفضل هذا الخوف الذى يمزق فاسكو ، فالخوف سلاح فعال يقظ فى مثل هذه المهام الخطيرة . ويعبر فاسكو حد النار ويصل إلى جنود ميرادور ، ويعود بعض الجنود يعلنون نجاح المهمة وتنفيذ الرسالة التى وصلتهم عن طريق فاسكو . . فاسكو الذى قتل وهو فى طريق العودة .

وحول جثته الملفوفة فى ملاءة بيضاء تجلس مارجريت تبكى حبيبها الذى لا ذنب له فى الحرب ولا جريرة .

وفى عام ١٩٥٩ كتب شحاده مسرحيته الرابعة « أزهار البنفسج » Les Violettes فقدمت فى العام التالى على مسرح بوخوم بألمانيا ثم طافت بمسارح ستوكهولم وأمستردام وبودابست وبرودواى وأخيراً وبعد ست سنوات من ظهورها بألمانيا قدمها المخرج رولان مونو على خشبة مسرح البورجونى الإقليمى بفرنسا .

و«أزهار البنفسج » مسرحية رمزية يتكلم فيها المؤلف بلغة الزهور . . وهى كوميديا ذرية ، إن صح هذا التعبير ، أو هى كوميدية غنائية ، كما يقول مخرجها الفرنسى ، أو كوميديا بالأغانى كما يقول المؤلف نفسه .

وعلى الرغم من اتفاق الجميع على أنها كوميديا وليست شيئاً آخر إلا أنها تعبر فى النهاية تعبيراً صارخاً عن أزمة الإنسان الأوربى المعاصر ومستقبله المؤسى . . ذلك المستقبل الذى تهدده القنبلة الذرية وتؤرقه الحرب النووية . .

يرتفع الستار عن البعد الرابع فى المجال الكونى وهو الزمن . . فها هى ذى ساعة الحائط تعمل وفق مزاجها فتصدر دقات مختلفة الأصوات وغير منتظمة . . هذه الساعة تنتمى إلى مدام بورميه صاحبة بنسيون « أزهار البنفسج ». . وهى امرأة جشعة غريبة الأطوار ، تحب المال ولكنها تخطئ فى الحساب ودائماً يجيء الخطأ فى صالحها . . وهى مصدر نكد لزبائنها الكرام ، فقد اعتادت أن تقص عليهم قصص الغرق والحرائق والزلازل والبراكين خاصة فى أثناء تناول الطعام . . فيضطر الجميع تحت تأثير

هذه الحوادث المفزعة أن يتركوا المائدة لتنفرد هى بها كل مرة .

ويفد إلى البنسيون العالم الكبير « السير كوفمان » لمواصلة بحوثه الذرية فى جو هادئ بعيداً عن صخب المدينة . . فيفاجأ بصخب أشد عنفاً . . إن كوفمان يحاول استخلاص الطاقة النووية الكامنة فى أوراق زهرة البنفسج . وما إن يعلم نزلاء البنسيون بموضوع هذه البحوث حتى ينقلب المكان إلى بركان يوشك أن ينفجر .

ولا يخفف من حدة هذا التوتر المشتعل غير بيريت ، تلك الفتاة الرائعة الجمال ، الممتلئة حيوية وشباباً ، المختلفة تماماً عن عمتها مدام بورميه . . إنها تغرق المكان بالحب والسعادة . . وهى مخطوبة « شفوياً » لثلاثة من نزلاء البنسيون فى مقدمتهم فرناجو ، البارون الثرى الذى يشبه نفسه بروملوس العظيم . .

وتحاول العمة أن توفق بين ابنة أخيها وبين البارون ، ولكن الفتاة تميل إلى العالم « المفلس » المولع بزهر البنفسج وما يحتويه هذا الزهر من طاقة نووية . . وأخيراً يهرب العالم مع الفتاة إلى الريف بعد أن يترك وصيته العلمية وأسرار بحوثه الذرية للبارون . .

ونتيجة لجهل البارون بكيمائية هذه البحوث يسود السم الذرى العالم كله ويتحول الناس إلى معادن لا حركة فيها ولا حياة . .

وبهذا تنتهى القصة الفلسفية أو الكوميديا العلمية التى تشبه إلى حد بعيد لوحة L'Embarquement A Citere « الإبحار إلى سيتار » للمصور

المعروف فاتو Wateau ، كما تشبه قصيدة الشاعر الملعون بودلير Baudelaire والتى تحمل نفس اسم لوحة فاتو . . تشبههما معاً ، إذا اعتبرنا اللوحة هى الجانب الوردى فى المسرحية والقصيدة هى جانبها المعتم !

وكتب جورج شحاده مسرحية خامسة بعنوان « الرحيل» Le voyage هى المسرحية الوحيدة التى لم تقدم على المسرح حتى الآن . . والمسرحية تدور حوادثها فى مدينة بريستول بإنجلترا عام ١٨٥٠ أيام كان الناس يستخدمون المراكب الشراعية ولا يعرفون شيئاً اسمه البخار فضلا عن الكهرباء .

تبدأ المسرحية فى محل لبيع الأزرار يملكه رجل اسمه كريستوف ، ولا نشهد كريستوف هذا إلا وهو يعد العدة للرحيل ، ولكن حادثاً مفاجئاً يطرأ له فيغير مجرى حياته ، لقد كانت له فيما مضى مغامرة عاطفية أدت به إلى ارتكاب جريمة قتل وهاهو ذا الآن مقبوض عليه والشاهد على جريمته ببغاء . . هذه الببغاء هى البطل الرئيسى فى هذه المسرحية . . وهى ببغاء عجيبة تصفق بجناحيها وتتكلم اللغة البرتغالية . .

وعلى الرغم من أن هذه ليست هى المرة الأولى التى يشرك فيها شحاده الحيوانات مع أشخاص مسرحياته ، ففى « حكاية فاسكو » غربان وفى « زهرة البنفسج » دجاج وفى « السيد بوبل » وفى « مهاجر بريسبان » كما سنرى ، حصان ، إلا أن الببغاء هنا لها دور كبير فى تغيير مجرى الأحداث . .

ويتميز أسلوب جورج شحاده وبخاصة فى هذه المسرحية بالبساطة القائمة على العمق المساندة للتعبير الرشيق . .

ولكن قبل أن نسترسل فى إيجاز مزايا شحاده الأسلوبية واستخراج قيم فنه المسرحى نقدم خلال السطور التالية عرضاً سريعاً لأحدث مسرحياته « مهاجر بريسبان » التى افتتح بها مسرح « الكوميدى فرانسيز » موسم ٦٧ — ٦٨ .

مهاجر بريسبان أم مهاجر لبنان !

قدمت هذه المسرحية لأول مرة على مسرح « الريزيدنز » بميونخ فى يناير عام ١٩٦٥ بعد أن ترجمها إلى الألمانية كل من إيفون وهربرت ميير، وأخرجها وقام بدور المهاجر كارت ميزل ، ووضع موسيقاها مارك لوثر. .

والمسرحية تدور أحداثها فى سنة ١٩٢٥ بقرية بلفنتو إحدى قرى جزيرة صقلية حيث يصل فى أثناء الليل مهاجر ينشد العودة إلى بلدته . . يقله الحوذى الوحيد فى القرية والذى ينشغل عن زبائنه بالتحدث إلى « كوكو » حصانه الذى يجر العربة . . ولذلك لا نسمع صوت المهاجر على الإطلاق طوال المشهد الأول . . وكذلك لا نسمعه فيما بعد . . فنى المشهد الثانى بعد أن يطلع النهار يجتمع العمدة وسكرتيره لدعوة أهل القرية للتعرف على جثة رجل وجد ميتاً فى الساحة الكبيرة . . وبعد أن يعلق السكرتير صورة الرجل على الشجرة الضخمة يدعو نساء القرية أولا لمشاهدة الصورة ويختار فى البداية أجمل ثلاث من النساء ، ربما كن

على علاقة فى شبابهن بهذا الرجل . . وعندما يدركن مقصد السكرتير يثرن عليه ويعنفنه أبشع تعنيف . .

ويستدعى العمدة بعد ذلك كلا من السنيور سكاراملا وبيكالوجا وباربى أزواج النساء الثلاث . . ولكن بنيفيكو البواب يطلع الرجال الثلاثة على سر استدعاء العمدة لهم ، فالعمدة يعتقد أن الرجل الميت كان على علاقة بزوجة واحد منهم وأن هذه العلاقة أدت إلى إنجاب طفل غير شرعى ، وأن الرجل واسمه جالار ماعاد إلا ليرى ابنه ، ولكنه مات بالسكتة القلبية فور وصوله . . وهنا يثور الرجال الثلاثة لكرامتهم ويتوعدون السكرتير الذى أهان زوجاتهم . . وما إن يصل السكرتير حتى يهددوه ويدخلوا معه فى عراك ، ولكن السكرتير ، لكى ينقذ نفسه ، يكشف لهم عن السر الذى يسكتهم جميعاً : لقد عثر مع المهاجر الميت على كيس كبير ملىء بالنقود . . وقرر العمدة أن يعطى المبلغ لابن هذا الرجل إذا ما ظهر . .

وهنا يتجه الرجال الثلاثة إلى زوجاتهم لمناقشة الأمر . . فنرى أولا بيكالوجا وزوجته روزا . . إنه يشك فيها ويحاول أن يجبرها على الاعتراف بعلاقتها القديمة بهذا المهاجر . . وقبل أن يحتدم النقاش ويصل إلى درجة الغليان تستطيع روزا أن تهز قلب زوجها الثائر لكرامته فتذكره بابنه الغائب وبعفتها التى هى حديث الجميع . .

ثم نرى بعد ذلك سكاراملا وزوجته لورا . . إنه يشك فيها هوالآخر

ويتهمها بأن لها علاقة سابقة بالقتيل الثرى نتج عنها هذا الصبى الذى كان يعتقد حتى الآن أنه ابنه الشرعى ، ويفترق الزوجان فى النهاية بعد خلاف لا ينتهى .

وأخيراً نشاهد باربى وزوجته ماريا . . إن هذا اللقاء الثالث يختلف عن سابقيه . . فباربى بدلا من أن يعنف زوجته كما فعل صديقاه ، يحاول أن يقنعها بالاشتراك معه فى لعبة قذرة . . هذه اللعبة القذرة تتمثل فى أن يذهبا معاً إلى العمدة ويعترفا أمامه بأن أحد أبنائهما هو ابن جالار الثرى . . وذلك لكى يفوزا بالمبلغ الكبير الذى تركه الرجل . . ولكن ماريا تنزعج لهذه الفكرة الدنيئة وتحاول أن ترفضها فى بادئ الأمر ،ولكن زوجها يتوسل إليها ويصر على ذلك ، وأمام هذا التوسل وذلك الإصرار تصيح ماريا بأعلى صوتها رغبة منها فى أن تفضح لعبته أمام الناس . . غير أن الزوج خجلا من موقفه وخشية من الفضيحة ينتزع سكيناً حادة ويغمدها فى صدر زوجته التى تسقط صريعة فى الحال . . وطوال هذا المشهد يكون بيكالوجا مختفياً وراء الشجرة يسمع كل ما يجرى ويرى كل ما يدور . . ولكنه لا يظهر مطلقاً حتى بعد وقوع الحادث . .

وإمعاناً من باربى فى أداء دوره حتى يحصل على المال وحتى تخف عقوبة جريمته يدعو العمدة والسكرتير وأهل القرية جميعاً ليشاهدوا زوجته القتيلة . . ثم يتظاهر أمامهم بأنه قتلها ليثأر لكرامته وليمسح العار الذى

ألحقته به بعد أن باعت جسدها للمهاجر الثرى وأنجبت منه طفلا كان يعتقد أنه ابنه الشرعى .

وهنا يلعن أهل القرية « تلك الزوجة الخائنة » ويحمدون « للزوج الشريف » شجاعته وشهامته ، وينظر إليه المسنون من رجال القرية على أنه « قديس » لابد من حمايته والدفاع عنه .

ويذهب العمدة إلى باربى ناصحاً إياه بأن يسلم نفسه للبوليس قبل أن يقبض عليه ويعتبره هارباً . . ويتهيأ باربى للذهاب إلى مقر البوليس ولكنه يتوقف برهة لوداع صديقيه سكاراملا وبيكالوجا . . أما الأول ، فلأنه لا يعرف الحقيقة ، يودعه بحرارة ، وأما الثانى ، فلأنه يعرف الحقيقة لا يكتفى بألا يودعه،ولكنه يلحق به وقد قرر أن يخلص بلفنتو من شرفه الزائف وأن يأخذ بثأر ماريا المسكينة ، ضحية هذا الرجل الحقير . .

وفى المشهد الأخير يصل إلى القرية مهاجر جديد يقله ذلك الحوذى العجوز الذى ينسى زبائنه لانشغاله الدائم بحصانه « كوكو » فيجىء بهم جميعاً إلى هذه القرية الجميلة « بلفنتو » حتى وإن لم تكن هى القرية التى يودون الذهاب إليها . . وهكذا نعرف أن جيف جالار المهاجر الأول القادم من بريسبان فى أقاصى أستراليا لم يكن يقصد بلفنتو ولكنه طلب إلى الحوذى أن يوصله إلى كورليتو قريته الأصلية . . فجاء به إلى بلفنتو حيث مات غريباً وحيث تسبب فى قتل امرأة بريئة وفى جريمة أخرى على وشك الوقوع .

أما المهاجر الجديد فما إن يصل إلى بلفنتو حتى يدرك أنها ليست قريته فيطلب من الحوذى أن يوصله على الفور إلى بلكريدى أو يعود به مرة أخرى من حيث جاء .

ويسدل الستار على هذه المسرحية الطريفة التى تتكون من تسع لوحات يحتوى بعضها على مشاهد تخضع للمفهوم الكلاسيكى بالنسبة إلى دخول الشخصيات وخروجها . . كما تحتوى إحدى اللوحات على مشهد يستمد رؤيته من مسرح بيراندللو الذى يمزج الحلم بالواقع فى موقف درامى واحد . . هو مشهد الصغيرة آنا ، الملاك الطاهر الذى لا يستطيع شيئاً وسط هذا العالم الملىء بالشر والتناقض واللامعقول !

ولنعد الآن إلى أسلوب شحاده وإلى فنه المسرحى .

عودة إلى المسرح الشعرى :

بعد أن أسدل الستار على المسرح الشعرى فى فرنسا بموت كل من جان جيرودو Giraudou وبول كلوديل Claudel وجان كوكتو Cocteau وفد إلى باريس كاتب من الوطن العربى يحاول أن يرفع الستار مرة أخرى عن المسرح الفرنسى وقد عاد إليه صفاؤه وشعره بعد أن ذهب به كل من كامو Camus وسارتر Sartre بعيداً فى طريق التحليل الذهنى ،وذهب به كتاب العبث أو اللامعقول بعيداً جداً فى طريق التحليل النفسى والتحليل اللغوى .

ومن هنا أصبح لشحاده أسلوبه المسرحى الخاص وأصبح لأسلوبه دور هام فى تاريخ المسرح الفرنسى المعاصر .

يقول موريس إسكاند M. Escande الفنان القديم ومدير عام «الكوميدى فرانسيز» الحالى : « إن شحاده كاتب رقيق وشاعر غاية فى العذوبة . . فيه دفء كدفء شمس الشرق وفيه لبنان بلده الأصلى الذى يجمع بين الروح العربية والجسد أو الشكل الأوربى . . فشحاده يقدم فى مسرحه ذلك المضمون العربى المغلف بإطار أوربى . . وهذا يرجع إلى أصالته العربية وحياته الدائمة فى فرنسا كما يرجع إلى ثقافته العربية الواسعة . . إنه الآن أحد أعلام المسرح الفرنسى المعاصر » . .

ولكن أسلوب شحاده لم يمر بمرحلتين شكليتين كما يتبادر إلى الذهن ، فهو لم ينتقل من الشعر إلى المسرح ولكنه نقل شعره إلى المسرح ، ذلك لأنه لا يعتقد فى مسرح ناجح ويكون خالياً من الشعر وإنما المسرح الناجح بحق هو المسرح الشعرى . . وفى رأيه أنه لا يوجد شعر يقف هكذا وحده كالرجل المعلق فى الفضاء وإنما على الشعر أن يخرج من قوقعته ويتجاوز إطاره ليحل فى شىء . . فى قصة ، فى رواية ، فى مسرحية ، ذلك لأنه إذا كان الشعر هو روح التجربة الفنية فلا بد للروح من أن تحل فى جسد حتى يكتسب الاثنان معاً وجوداً ومعنى .

ولما كان المسرح هو أكثر الأشكال الفنية تعبيراً عن الحياة نفسها بكل ما تنطوى عليه من فرح وألم ، من هزل وأسى ، من ضعة وعظمة ،

فهو بالتالى أكثر الأشكال صلاحية لاستقبال لغة الشعر . . ومسرح شحاده هو مسرح « اللغة الشاعرة » أكثر من مسرح « الصورة الشعرية » لأن الكلمات عنده هى لبنات المسرح الأساسية ولأن كل كلمة عنده لها حياتها الدرامية الخاصة . .

واللغة الشاعرة فى رأى شحاده هى تلك اللغة التى تفجر الطهر والبراءة والنقاء والمثل العليا من ينابيع الحياة وتلمس بها قلوب البشر . . تلك القلوب التى تحجرت وتصلبت تحت وطأة الحضارة التكنولوجية وزيف المجتمع الآلى وزحام المدن الصناعية بعيداً عن صفاء الطبيعة فى الليل الوديع وزقزقة العصافير فوق أوراق الشجر وخرير المياه فى النهر الهادئ . . بعيداً عن الريف الحالم وأرضه المترامية الأطراف التى تسبح فى ضوء النجوم وتغرق فى خضرة تتلألأ مع مطلع الفجر وحتى ساعة الغروب . . بعيداً عن سمرة البحر وزرقة السماء وهذا العالم الفطرى كعذراء فاتنة تحلم بالحب وتحيا له . .

ومن كانت تلك هى رؤيته فإن عالمه لا بد أن يكون عالماً غريباً عن هذا العصر . . عالماً تتوطد فيه أواصر الصداقة والألفة بين الإنسان والحيوان طالما أن الإنسان لم يعد يأنس إلى أخيه الإنسان . . إنها فى صميمها دعوة للعودة إلى أحضان الطبيعة ، تلك العودة التى نادى بها روسو فى القرن التاسع عشر حتى قبل أن تتعقد الحضارة كل هذا التعقيد .

ولذلك كان من الطبيعى أن تدور أحداث مسرحيات شحادة فى

الهواء الطلق وسط المساحات الشاسعة وبين أحضان الطبيعة : فالسيد بوبل ينتقل من هدوء القرية إلى سكون الجزيرة وينتقل بينهما عبر البحر العميق . . وأمسية الأمثال تقام فوق قمة جبل شاهق يسمى « الماسات الأربع » . . وفاسكو يقوم بمغامرته عبر الأراضى المكشوفة التى يحتلها الأعداء . . وكوفمان الذى يهرب من صخب المدينة ويجىء إلى بنسيون « أزهار البنفسج » النائى يعود فيهرب منه بصحبة الفتاة إلى الريف . . وحتى كريستوفر يستعد لمغادرة متجره والرحيل إلى بلد بعيد . . أما مهاجر بريسبان فيترك هذه القرية متجهاً إلى قرية كورليتو ولكنه يموت فى قرية أخرى غير قريته ، هى قرية بلفنتو القابعة بجزيرة صقلية الوديعة الحالمة .

ولذلك أيضاً كان من التلقائى أن تقام ديكورات هذه المسرحيات فى الجزر والبحار والموانى والحدائق والحقول بعيداً عن الغرف المغلقة والبناءات الشاهقة والشوارع المزدحمة والمركبات المكتظة .

ثم كان من المنطقى بعد ذلك أن تتمتع شخصيات شحادة بطيبة وتواضع وعفوية أهل الريف . . تلك الشخصيات التى تكتسب صفة الواقعية رغم شاعريتها والتى تحصل على شهادات ميلادها وهى على المسرح فتضاف إلى نسبة كثافة السكان فى العالم . . والتى تحتفظ فى الوقت نفسه بتفردها فتظل عالقة بأذهان الجمهور بعد أن تختفى وراء الكواليس ويسدل ستار المسرح وتضاء أضواء الصالة . .

ولأن شحاده قد ترك وطنه واستقر به المقام فى وطن غريب ، نلاحظ

أن معظم أبطاله يهاجرون من بلادهم ويموتون فى بلاد غريبة . . فالسيد بوبل ترك قريته ومات فى جزيرة نائية.. . وفاسكو مات بعيداً فى أرض الأعداء . . وأرجنجورج قتل فوق قمة جبل « الماسات الأربع » الشاهق..ومهاجر بريسبان مات بالسكتة القلبية فى قرية غريبة جاءها عن طريق الخطأ . .

إنها دائماً « مأساة الغربة والاغتراب » ! . .

شحاده بين الالتزام واللامعقول :

الواقع أن جورج شحاده ينتمى إلى جيل الطليعيين من كتاب المسرح الفرنسى المعاصر ولهذا فهو لاينتمى بالضرورة إلى كتاب العبث أو اللامعقول..فمسرحه يختلف عن مسرح الإنسان الضائع عند بيكيت Beckett وعن مسرح الإنسان اللاديني عند جينيه Genet وعن مسرح الإنسان الملحد عند سالاكرو Salacrou وعن مسرح الفراغ الوجدانى عند أرابال Arrabal وعن مسرح اللغة العقيم عند يونسكو Ionesco وعن مسرح الوحدة والانفصام عند أداموف Adamov وعن مسرح الموت والعفن عند أوديبرتى Audiberty . . .

وشحاده يختلف عن كل هؤلاء فى أن مسرحه يشبه إلى حد بعيد مسرح الطهر والنقاء الذى نلقاه عند جان أنوى Jean Anouilh ، وإن كان يتميز عنه بأنه « دعوة للعودة إلى أحضان الطبيعة » والحياة بأسلوب أهل الريف . . ذلك الأسلوب العفوى الصادق والبسيط .

ولكن هل يمكننا أن نعتبر جورج شحاده كاتباً ملتزماً ؟ !

يقول شحادة : « إن العمل الفنى ، أى عمل فنى وكل عمل فنى ، لابد أن يحتوى على فكرة . . هذه الفكرة لابد أن ترمز إلى شىء . . ومع هذا فإنى أعترف بأنى لست كاتباً أخلاقيًّا ، ولكنى أنشد الشعر واللهو والمرح » .

وعلى الرغم من هذا القول ، قول الشاعر ، فإننا دائماً ما نعثر فى مسرحياته على موضوعات هامة تشغل أذهان الناس فى عصرنا الحديث وإن كانت تسبح فى جو شاعرى وتعالج بطريقة شاعرية . .

إن شحاده وإن كان لا ينتمى إلى العصر الذى يكتب عنه (١٨٥٠ : الرحيل، ١٩٠٠ : زهرة البنفسج ، ١٩٢٥ : مهاجر بريسبان) إلا أنه ينتمى إلى العصر الذى يكتب فيه وينفعل بأحداثه ويعبر عنه أصدق تعبير . . يعبر عنه بشكل أو بآخر ولكنه على أية حال الشكل الخاص به هو وحده . . وأعنى به الشكل الشعرى والشعورى فى وقت واحد .

فتحى العشرى

مهاجر بريسبان

مسرحية فى تسع لوحات

تأليف الكاتب اللبنانى

چورج شحاده

ترجمة وتقديم

فتحى العشرى

مهاجر بريسبان :

عرضت للمرة الأولى بميونيخ فى ١٢ يناير عام ١٩٦٥ على مسرح الريزيدنس، عن ترجمة إلى الألمانية قام بها كل من إيفون وهربرت ميير . أخرجها كارت مييزل . أعد الديكور والملابس جان دونيس مالكيس . وضع الموسيقى مارك لوثر .

* * *

شخصيات المسرحية

باربى .
ماريا ، زوجة باربى .
سيتشيو .
مهاجر بريسبان .
الحـــوذى .
السنيور لويجى روكو ، عمدة بلفنتو .
توتينو ، سكرتير العمدة .
بيكالوجا .
روزا ، زوجة بيكالوجا .
بينيفيكو .
آنا ، فتاة صغيرة .
الأب أوروري .
الشاب صاحب الصورة .
مهاجر آخر .

فلاحون وفلاحات ، والحصان كوكو

سكاراململا.
لورا ، زوجة سكاراململا .

تدور الأحداث فى قرية من قرى جزيرة صقلية حوالى عام ١٩٥٢

اللوحة الأولى



ميدان فى قرية صغيرة تقبع فوق تل مرتفع . فى الوسط ، عين ماء من الحجر . ليلة مرصعة بالنجوم ومظلمة . عند رفع الستار تكون أضواء المسرح مطفأة . يسمع صوت عربة وهو يتناهى من بعيد . بعد فترة تظهر عربة من ذات الأربع عجلات بمصابيحها المتواترة . تتوقف . وعندئذ يضاء المسرح .

المشهد الأول

الحوذى والمهاجر

الحوذى : (جالساً فوق مقعده) . ها هنا يا سيدى ! لقد وصلنا . المكان خليق به أن يبجل . (يرفع غطاء رأسه محيياً) . وليس ذلك من أجلك فقط . إذا أردت أن تنزل وتقوم بزيارة . . . انتظرتك . (يسمع نباح كلاب) لا تلق بالا ، فالكلاب تغنى فى صقلية . (يضحك) ليلة رائعة ، أليس كذلك يا سيدى ؟ (يشير إلى السماء) بهذه النجوم المتلألئة وهذا النسيم الخفيف المنعش . . . تصاحبه حرارة ولا توجد فى مكان آخر غير صقلية . (يضحك)هذا الذى تراه أمامك هو القديس أنطونيو... فى أسفل، القديس لوتشيو بابا حيث يعمل بعض الحدادين أثناء النهار . . . وفى أعلى ، القديسة كلارا متوجة بهالة من النور . . . خلف ظهرى ، القديس فيرمينو . أغلب الظن ، يا سيدى ، أن إحدى الكنائس قد انفجرت وأن القديسين جميعاً من رجال وآنسات قد انتشروا فى الجو (يضحك) المجد لله ! (بعد فترة صمت ، بينما لا يرى

باب العربة وهو يفتح ، يعود الحوذى إلى مقعده) لقد وصلت يا سيدى .

المهاجر : (يهبط من العربة ببطء)

« وهو رجل طويل القامة ، ممشوق الهامة ، يرتدى قبعة من الجوخ ومعطفاً أنيقاً .أشيب الشعر ، يتقدم بضع خطوات ، يتوقف وينظر حوله » .

. . . .

الحوذى : (بعد أن يتتبعه بنظراته) آه ، لابد أن ينتاب المرء شعور غريب وهو يرى قريته مرة أخرى بعد آلاف السنين !... من أجلك فقط أشعر برغبة فى البكاء . (يربت على ردف حصانه) أليس كذلك ، يا كوكو ؟

المهاجر : (يتقدم فى خطى منهكة للغاية نحو ساحة القرية الصغيرة. وفى لحظة يبدو مترنحاً) .

. . .

الحوذى : هيه ، هناك ! إنك تسقط يا سيدى . (يتقدم بضع خطوات متجهاً نحوه ، ثم يقف مشدوداً من جديد بالقرب من العربة ويستمر فى متابعته بنظراته) . إيه ، حقًّا يا سيدى ، تستطيع أن ترى . . . كل شىء يتغير ... كل شىء قد تغير . . . كل شىء قد مضى ، يا سيدى

كل شيء يمضي ... هذه بدهيات ، ليس المرء فى حاجة لأن يكون حائزاً على وسام أو حاصلا على درجة علمية حتى يعرفها . (يستشهد بحصانه) هيه ، كوكو ؟

. . .

المهاجر : (ينظر حوله) .

. . .

الحوذى : ألم تعد تتعرف على الأماكن ؟ هل تقدم العمر بعين الماء ؟ . . . إن خريرها كما هو دائماً . هو الباقى ، يا سيدى . (بعد فترة) إن الرخام والشمع يذوبان مع السنين .

المهاجر : . . . .

الحوذى : (وهو يسمع نباح الكلاب من جديد) آه ! هذه الكلاب . ليست هى الكلاب التى كانت هنا عندما ذهبت . (فترة صمت) كيف كانت تسمى الكلاب التى كنت تعرفها ؟. . . ناد عليها ، وسنعرف .

المهاجر : (ينظر حوله) .

. . .

الحوذى : وأيضاً كثرت الأشجار ، أصبح لها إخوة . . ؟. كما كان

لنابليون . (يضحك وهو يغير إيقاع صوته) والعصافير أيضاً ماتت ألف مرة بعد أول مرة كنت فيها قد سمعتها . (يتخذ من حصانه شاهداً) هيه ، كوكو ؟ . . . (فترة صمت) لون العصافير وحده هو الخالد ، هكذا قال صاحب مصبغة .

المهاجر : (يتطلع إلى المنازل التى تحيط بالساحة الصغيرة) .

. . .

الحوذى : أما المنازل يا سيدى ، هذه الأكوام من الحجارة ومن الجير ، فلم يكن لها قطّ ما يميزها . . . إلا عندما يكون لها شرفات . ولا أدرى لماذا قلت : عندما يكون لها شرفات ؟ هيه ، كوكو ؟ . . . (بعد فترة ، مخاطباً المهاجر) وعلى كل ، فالبناءون الذين شيدوا هذه المنازل . . قد رحلوا .

المهاجر : . . .

الحوذى : كم عمرك ، يا سيدى ؟ . . . السن لها دخل فى الحزن ! صحيح إنه سؤال فضولى . . . ولكن أمام هذه النجوم . .

المهاجر : (يجلس فوق جذع شجرة ويحمل يده إلى قلبه) .

. . .

الحوذى : (يجلس على سلم عربته ، يفرد صحيفة مليئة بطعام ،

يشرع فى التهامه . يقول وهو يأكل) فى انتظارك يا سيدى .

المهاجر : . . .

الحوذى : (بعد فترة وهو منهمك فى الأكل) لا يمنع أن المكان فى منتهى الجمال أثناء الليل ، على الرغم من الحزن الذى يلفه . وأنا مستعد أن أقسم بأن الاثنى عشر رسولا قد مروا من هنا ، لأنه ما من شىء جميل على الأرض حقاً إلا وطئته أقدام الصحابة الاثنى عشر ، هيه ، كوكو ؟ . . . (يرسم علامة الصليب على صدره وهو يأكل) .

المهاجر : . . .

الحوذى : منذ متى غادرت صقلية ؟ منذ زمن بعيد ، أليس كذلك ؟ لقد أدركت ذلك على الفور . الأنف بصفة خاصة هو الذى يتغير بعد الرحلات ، (مخاطباً المهاجر) أنفك يا سيدى أصبح إنجليزياً . (يتخذ من حصانه شاهداً) هيه ، كوكو ؟ . . .

المهاجر : . . .

الحوذى : (بعد فترة صمت طويلة ، وهو يلتهم آخر قطعة) والآن ، هل لنا أن نعود يا سيدى ؟ . . . لقد رأيت كل شىء . (الكلاب تنبح) وسمعت كل شىء . تذكر أنك قلت فى المحطة : « لدى وقت قصير جداً » .

المهاجر : . . .

الحوذى : وإذا تركت ظلك ، هنا . . . مع الكلاب ، فسيبقى فى القرية على الدوام . ولم لا ؟ إن الحزن يعالج بالأسرار . هيه ، كوكو ؟ . . .

« فى هذه اللحظة ، تصدر أربع دقات عن ساعة معلقة ببرج لا يكاد يرى أثناء الليل » .

المهاجر : (يرفع رأسه ببطء) .

. . .

الحوذى : (يبرز من جيب الصديرى ، ساعة ضخمة) منتصف الليل يا سيدى . (بعد فترة صمت ، وهو يرقب السماء) لقد بدأت النجوم تسقط بصورة خطيرة . إنها بكل تأكيد أجسام بعيدة من الفضة تسير . . . ومع هذا فهناك شهب ! . . . وهى ليست من ريش النعام إذا ما سقطت فوق رأسك .

المهاجر : . . . .

الحوذى : هيا بنا نعود يا سيدى . لقد رأيت أجمل قرية ، بلغة علم الجمال ، وأهنئك على أنها قريتك . إن مصورى مدينة « باليرم » Palerme يجيئون إلى هنا يوم الأحد عندما يريدون أن يصنعوا تحفاً فنية ، هيه ، كوكو ؟ . . . (يستطرد فجأة) أسمع صفيراً فى أذنى وأتساءل إذا لم يكن هو قطارك (يضحك) .

المهاجر : . . .

الحوذى : الوقت منتصف الليل ، يا سيدى . وهو وقت متأخر حقاً على جواد هرم وحوذى عجوز عليهما أن يجتازا أربعة وديان قبل أن يصلا بك إلى المحطة .

المهاجر : . . .

الحوذى : (يصعد إلى مقعد العربة وينتظر . يلقى من آن لآخر نظرة على المهاجر الذى يضيع فى أفكاره أكثر فأكثر . ثم يقول بضيق وهدوء) عد إلى هذه العربة يا سيدى . . . وإلا رحلت .

المهاجر : (يبدو أنه لا يعير أدنى اهتمام إلى ما يقوله الحوذى) . . . .

الحوذى : سيدى ، سوف أرحل .

المهاجر : . . .

الحوذى : إنى أرفع سوطى ، ليس من أجل كوكو ، لا تظن ذلك ، ولكن لألهب به هذه المصابيح وأواصل سيرى . (ينظر إلى المهاجر) .

المهاجر : . . .

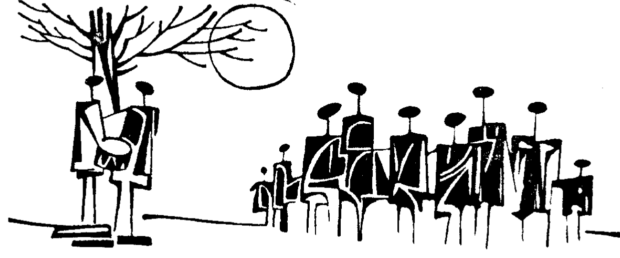
الحوذى : استمع جيداً : لن تجد مكاناً تأوى فيه . فلا توجد فنادق هنا ، ولا حانات للشراب أو للطعام . إن مصورى باليرم

Palerme يحملون كل شيء فى سلالهم عندما يجيئون يوم الأحد . ثم ، من ذا الذى سيتعرف عليك فى زرقة الليل . بعد هذه الغيبة الطويلة . . .

(يظلم المسرح . تسمع قرقعة السوط ، تسير العربة ثم تختفى . يميل المهاجر برأسه إلى الأمام) .

يسدل الستار

اللوحة الثانية



نفس ديكور اللوحة السابقة. أهالى القرية مجتمعون فى الساحة الصغيرة حول العمدة ، وهو فلاح مهيب له شارب أسود ، ورجل هادئ يعمد إلى الصمت . فى مواجهة الجمهور يقف توتينو Tutino سكرتير العمدة وهو يحمل طبلا له حمالة ويتأهب لقراءة بيان . فى شرفة دار العمدة ، يقف الأب أوروري Orori خوري بلفنتو Belvento يتابع المشهد بحرص واهتمام شديدين .

المشهد الأول

العمدة والسكرتير وسيتشيو وروزا بيكالوجا ولورا سكاراملا وماريا باربى وآنا وبيكالوجا وسكاراملا وباربى وفلاحون وفلاحات وبينيفيكو ممسكاً بآلة « الهارمونيكا » والأب أوروري فى الشرفة .

العمدة : (يقدم لفافة من الورق للسكرتير) .

. . .

السكرتير : بأمر العمدة ! (يدق الطبل ، يفرد الورقة ويشرع فى القراءة بصوت مرتفع جداً) « أهالى بلفنتو ! . . »

العمدة : (وهو يقاطعه) النساء فى الصف الأول . (ثم يعطى إشارة للسكرتير بالاستمرار) .

السكرتير : « أهالى بلفنتو ! . . . بالأمس ، قبل أن يصيح الديك ، حيث الوقت لم يكن نهاراً ولا ليلا ، وإنما كان نهاراً وليلا معاً ، استيقظ سيتشيو ، وهو مزارع من بلفنتو ، فى ساعة مبكرة ، فوجد فى ساحة القرية وهو فى طريقه إلى بستانه رجلا ميتاً بالسكتة القلبية . وقد قام الدكتور كوتو Catto بالتحقق من الوفاة بالقرب من هذه العين الغافلة .

وعلى الرغم من أن شخصية الرجل لم تتضح تماماً فقد تم دفنه فى مقبرة بلفنتو . ولقى مراسم الكنيسة المقدسة بعد وفاته ، ذلك أن خورى بلفنتو رجل شجاع أولا وثانياً هو ماهر فى علم الفراسة . (لكى يوضح ما يعلنه يدق السكرتير الطبل بعصا واحدة) . وستعرض فى الحال صورة فوتوغرافية عثر عليها فى جيب الميت ، تمثله وهو فى سنوات شبابه . وقد قام بتكبيرها المايسترو إيتورى إراندا Ettore Arranna وهو مصور مقيم ببالسترو . فليقدم له الشكر علناً لمعاونته الفنية والعملية . (يدق الطبل بعصا واحدة) . إننا نطلب إلى قدماء بلفنتو أن يمروا واحداً تلو الآخر أمام هذه الصورة وأن ينظروا إليها جيداً ويبحثوا فى أعماق ذاكرتهم عما إذا كان الوجه بشكله هذا يذكرهم بشخص أو بشىء .وفى كلا الحالين ندعوهم للتوجه إلينا على الفور .

لويجى روكو ،

عمدة بلفنتو » .

(يدق الطبل بالعصوين معاً . وبينما يخرج العمدة ، يقوم السكرتير بعد أن يتخلص من طبلته ، بتعليق صورة كبيرة على شجرة ، تمثل النصف الأعلى من جسم رجل ،

شاب ، جميل يرتدى زيا من أزياء عام ١٩٠٠ . يقترب الفلاحون جميعاً من الصورة يستطلعونها) .

السكرتير : النساء أولا ! فليبق الرجال هناك ولينتظروا دورهم . هيه ! تستطيع يا سيتشيو أن تقص عليهم كيف اكتشفت المرحوم : وهو يرتدى قبعة من أحدث طراز وحذاء يلمع فى عز الليل . من يدرى لعل بلفنتو تقيم لك تمثالا من المرمر على الخدمة التى أسديتها إليها .

سيتشيو : صحيح ؟! . . .

السكرتير : (مخاطباً سيتشيو) أيها المواطن ، إننالا نمزح على الإطلاق . (فترة صمت) النساء أولا ، بأمر العمدة . المرجو منهن أن يتقدمن وينظرن إلى هذه الصورة كما ينظرن إلى أعماق بئر . وعلى فكرة ، كان يوجد فى الماضى بئر فى موقع ومكان هذه العين . وكانت تجىء النساء حول حلقتها . على النساء أن تتذكر وتقول إذا كانت قد التقت بهذا الشاب حول البئر . (فترة صمت) إن المسألة تتعلق بالشرع (يدعو بإشارة منه إحدى السيدات للاقتراب من الصورة) . مدام بيكالوجا . . .

روزابيكالوجا : (إنها سيدة ، لا تزال تتمتع بجمالها ، لم تبلغ سن الأربعين) لماذا أنا قبل الأخريات ؟

السكرتير : افعلى ما يطلب إليك . بأمر العمدة .
روزا بيكالوجا : (تتفحص الصورة) .

. . .

السكرتير : (بينما تتفحص مدام بيكالوجا الصورة) هل عرفت هذا الشاب في بلفنتو ، أيام كانت بها بئر ، لقد كنت جميلة أيامها يا روزا . . . كنت حلوة . . . تطرقعين بكعبي حذاءك .
روزا بيكالوجا : (تحول نظرها عن الصورة) كلا ، أيها السكرتير .
السكرتير : تخيلى هذه الصورة . . . أو هذا الشاب عائداً إلى بلفنتو . . . ويخاطبك هكذا :« صباح الخير ، يا روزا . . . » هل كنت ستعرفينه ؟ (فترة صمت) وإذا كان يدخن سيجاراً ، ويبدى إعجابه بمشيتك ، وهو متكئ إلى هذه الشجرة ، مثل صورته ؟
روزا بيكالوجا : ما كنت سأعرفه كذلك .
السكرتير : (يشير إلى انتهاء المحادثة) شكراً لك ، مدام بيكالوجا .
روزا بيكالوجا : لكن من هو ؟ بماذا يتعلق الأمر ؟ ولماذا تتحدث عن شبابى بخصوص هذا الرجل المجهول ؟
السكرتير : شكراً لك ، مدام بيكالوجا ، شكراً .
روزا بيكالوجا : (تبتعد) .

السكرتير : (مخاطباً سيدة لم تبلغ الأربعين من عمرها بعد، ولا تزال تتمتع بجمالها) : أما معك أنت أيتها السنيورة ، فسوف أكون دقيقاً . لأنك سيئة الطبع كما أن لسانك سليط كلسان البلهاء (فترة صمت) آه ! مدام سكاراملا ، ليجعل الله ملائكته تهبط عليك عندما تشاهدين هذه الصورة .

لورا سكاراملا : هلا انتهيت من الكلام وتركتني أنظر فى هدوء .

السكرتير : منذ عشرين عاماً . . .

لورا سكاراملا : (تقاطعه ، بازدراء) منذ عشرين عاماً ، لم تكن قد ولدت !

السكرتير : دعيني أنهي كلامي . . . منذ عشرين عاماً ، قبل ولادتك الثانية تماماً . . .

لورا سكاراملا : قل إذن ، السيدة المحترمة ، بماذا تأخذني ؟

السكرتير : ليأخذك الشيطان ! أجيبي عن هذا : منذ عشرين عاماً هل قابلت شاباً يشبه هذه الصورة ؟

لورا سكاراملا : هذا أمر لا يعنيك .

السكرتير : بالتأكيد، أيتها السنيورة! وإني لأسخر من ذلك ! ولكنك ستجيبين مع ذلك (يسحب من حمالته إحدى العصوين ويدق الطبل المطروح أرضاً على بعد خطوات منه) .

لأنى أحدثك فى هذه اللحظة بلسان العمدة وباسم القانون .

لورا سكاراملا : إذن ، لم أقابل مطلقاً ولم أر شخصاً يشبه هذا الشخص ، لا فى خير ولا فى شر . (فترة صمت) هذا للعمدة (فترة صمت) أما لك فإنى أقول : أنت عبيط ! (تضحك برقة) .

السكرتير : (يظل فترة مرتبكاً ثم يقول) لنفترض أنى لم أسمع شيئاً ... باسم القانون . (يخاطب امرأة أخرى فى الأربعين من عمرها ولكنها لا تزال تتمتع بجمالها) جاء دورك يا مدام باربى .

ماريا باربى : إنى أجيبك على الفور وحتى دون أن أنظر : لم أره على الإطلاق ، لأنه إذا كانت النساء الأخريات قد رأينه ، كنت رأيته أنا أيضاً . إنك تنسى أننا نسكن جميعاً نفس القرية .

السكرتير : لا أطلب منك ، أيتها السنيورة ، أن تدلى بحكمة فلسفية ، وإنما أطلب منك أن تلقى نظرة .

ماريا باربى : (وهى تتوجه ناحية الصورة وتتفحصها عن قرب) حسن ، إنه لا يذكرنى بأحد من الناس عرفته هنا .

السكرتير : وفى مكان آخر . . . خلال رحلة ؟

ماريا باربى : أتمزح أيها السكرتير ، إن العالم بالنسبة لنا ، كان يتوقف فى الماضى عند الشارع الكبير .

السكرتير : طيب ، هل التقيت فى الماضى بهذا الشاب عند الشارع الكبير ؟

ماريا باربى : (تنظر من جديد إلى الصورة) .

. . .

السكرتير : تذكرى ، كنت تمرين بالشارع الكبير ، وتحت ذراعك سلة بها حبات الكستنا السمراء . . . سمراء ، أنت أيضاً ومتعة حقيقية للنظر . . . أيام كانت العربات تنطلق نحو المدينة .

ماريا باربى : لم تعد بالمدينة عربات ، أيها السكرتير ، ولا أذكر أننى تحدثت إلى هذا الصبى . (تعود إلى مكانها) .

آنا : (فتاة صغيرة فى الثالثة عشرة تتقدم وتنظر إلى الصورة بحنان) لطيف .

السكرتير : انظرن ، انظرن جيداً ، أيتها السيدات إلى هذه الفتاة . عندما كنتن مثلها ، ألم تعرفن شاباً . . . مثله ؟ . . . (يشير إلى الصورة) .

السيدات الثلاث : (يهززن رءوسهن) .

. . .

السكرتير : لم تكن من بينكن واحدة عاطفية . . . فيما مضى ؟ !

رزوا بيكالوجا: حضرة السكرتير ، إنك تنسى أننا متزوجات .

السكرتير : قلت : « فيما مضى » هل تسمحن لى ؟

روزا بيكالوجا: وحتى هذا ، لم يجب أن تقوله . فيما مضى وفيما يأتى نحن لأزواجنا .

السكرتير : لا تبالغى فى الأمر ، أيتها الأم ! فلن تجعلينى أصدق أنك ولدت فى نفس اليوم الذى ولد فيه زوجك ، وأنكما كبرتما دون أن تفترقا حتى أصبح هو شاباً يافعاً وأصبحت أنت فتاة فى سن الزواج ! . . . إذا أردت أن تعرفى ، فإن العذراء نفسها ، كانت فيما مضى تتنزه . والزواج ليس سراً من أسرار البوليس .

لورا سكاراململا: قل إذن ، أيها الخبيث ، هل انتهيت من تجريد روزا من ثيابها والنظر إليها من فتحة القلنسوة . . . بسبب رجل غريب . .

روزا بيكالوجا: دفناه بالأمس فى خشوع مع أعلام القرية .

السكرتير : ليس غريباً عن بلفنتو ، أيتها الأم ، ليس غريباً . (يسحب من حمالته الجلدية عصا ، ويدق الطبل المطروح أرضاً على بعد خطوات منه) .

ماريا باربى : لكن من يكون ، هذا المجهول الذى جاء ليموت فى بلفنتو

أثناء الليل كأحد اللصوص ؟

السكرتير : (يدق الطبل من جديد بعصا واحدة) إنه ليس مجهولا ، أيتها الأم ، ليس مجهولا !

روزا بيكالوجا: انطق اسم ذاته إذن أمام الله طالما أنه مات ، وعرفنا به .

لورا سكاراملا: كف عن إرهاقنا بأسرارك الواهية .

ماريا باربى : لا تدعنا هكذا أشبه ببغلات ثلاث مقيدة من عنانها ب . . هذه الصورة . قل لنا ما تعرفه .

السكرتير : لن تخرج كلمة واحدة من فمى . لقد أقفلت المحضر : ولا واحدة منكن قد تعرفت عليه . ويعلم الله أنى حاولت مساعدتكن أيتها السيدات . (يحمل السكرتير طبله ويتأهب للخروج) .

لورا سكاراملا: إذا كنت سريعة الفهم ، فإنك أردت أن تحمل روزا على الاعتراف بأن هذا الرجل عشيقها وقد عاد إلى بلفنتو ... ليراها قبل أن يموت .

السكرتير : ولك أيضاً ، أيتها السنيورة ، أقول نفس الشيء (ثم يقول) تذكرى عندما كنت تقومين بنشر الغسيل وأنت تضعين الفلفل الأحمر فى شعرك . لم تكونى تمرين دون أن يرمقك الشبان .

لورا سكاراملا: (مخاطبة رفيقتها) آه ، إنه يتحدث عن عاشق قد نكون عرفناه . . . فيما مضى ! (تضحك) .

السكرتير : ولم لا ؟ . . . لم لا ، يا مدام سكاراملا ؟ إن الفضيلة

مياه شفافة وعميقة ، لكنها تتحرك . يا مدام سكاراملا ، بل تحركت . . . بالتأكيد .

روزا بيكالوجا: (تصيح منادية) بيكالوجا ، هوه ! هوه ! تعال اسمع ما يقال عن زوجتك .

بيكالوجا : (وهو يقترب) ماذا ، أيها السكرتير ؟ . . .

السكرتير : كنت أفترض افتراضاً ، كنت أفترض أن زوجتك كانت جميلة فيما مضى . هل هذا شيء سيئ ؟

بيكالوجا : هيه ، أبداً .

روزا بيكالوجا: حلوة . . . وخفيفة ، هذا ما أعلنه .

بيكالوجا : فعلا ، كنت تزنين أقل من وزنك الحالى مرتين . (يضحك بخفة) .

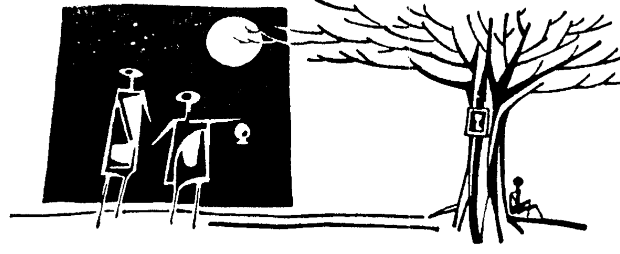
سكاراملا : (الذى تابع المشهد كله من بعيد ، يتقدم مهدداً) اسمع . أيها السكرتير ، يمكنك أن تقول كل ما يدور برأسك طالما أنك تحمل الطبل . ولكن أحذرك ، وقد صعد الدم إلى رأسى ، بأنه لا يصح أن تعبث بالشرف والفضيلة . لقد كان هؤلاء النساء أجمل نساء القرية ، فيما مضى . فإذا كان قد نال منهن المشيب فإن الشرف لا يشيب أبداً أيها السكرتير . هل فهمت ؟! . . . (يسحب من جيبه سكيناً بحد فاصل . يفتحه ،

ثم يغمده إلى آخره فى الصورة) وهذا فى النهاية من أجل رجلك الميت !

(فى الشرفة يقف الأب أورورى وقد بدا عليه الذعر . الجميع يخرجون فى صمت ، فيما عدا الصغيرة آنا التى تنظر إلى الصورة بحنان وتسند رأسها إلى الشجرة) . . .

يسدل الستار

اللوحة الثالثة



نفس الديكور . الوقت ليل . يدخل بينيفيكو متخفياً يتبعه سيتشيو الذى يحمل مصباحاً فى يده . عند جذع الشجرة حيث لا تزال صورة المهاجر معلقة وقد أغمد فيها السكين ، تنام الصغيرة آنا وعلى كتفيها وشاح . لا يلحظ الرجلان وهما يدخلان وجود الفتاة الصغيرة .

المشهد الأول

بينيفيكو وسيتشيو والصغيرة آنا نائمة

بينيفيكو : (بصوت منخفض) تعال ، يا سيتشيو . . . تعال .

سيتشيو : (يهز المصباح حوله وينظر) .

. . .

بينيفيكو : لا تهز مصباحك هكذا . . . إنه ينشر الظلال فى كل مكان ، والمقبرة ليست بعيدة ، حيث الرجال والنساء يقفون فى صفوف متصلة فى انتظار مصافحتى .

سيتشيو : سأطفئ هذا المصباح ، حتى نكون على سجيتنا مع الليل .

بينيفيكو : إننا نكون على سجيتنا فى الليل الصافى أكثر مائة مرة مما لو كنا بصحبة هذا اللسان الأصفر . لسان الأفعى . (يشير إلى لهب المصباح) .

بينيفيكو وسيتشيو : (ينفخان اللهب طويلا دون أن يتمكنا من إطفائه) فوف . . .

سيتشيو : إنه جنس من اللهب ، يقوى أمام صفع الريح .

بينيفيكو : لهب ملعون يريد أن يسمع كل شيء ، بعد أن يرى كل شيء .

الرجلان : (ينفخان معاً) **فوف** . . .

بينيفيكو : (بمجرد أن ينطفئ المصباح) ستقص على الآن كل شيء يا سيتشيو .

سيتشيو : إذا شئت ، أيها الجد (يتقدم بضع خطوات ويشير إلى مكان ما) وجدته ميتاً . هنا ، والكلاب نائمة عند قدميه. (ينتفض من التأثر بمجرد التذكر) .

بينيفيكو : أجل . لكن هدئ من روعك .

سيتشيو : كان يبدو نائماً . . . (يجلس فوق جذع الشجرة ويتخذ نفس وضع المهاجر) هكذا ... وكانت الكلاب تزوم عند قدميه بهدوء . ميت نائم ! أعترف بأنه يوجد ما يقلب السحنة من الخوف ! لقد تعلق لساني بسقف حلقي ، وظننت أنني أصبت بالبكم، ثم بالصمم . (يحاول أن يتغلب على اضطرابه) أجل . لكن لنهدئ من روعنا . (يسحب بينيفيكو إلى أقصى المسرح) هنا ، وجدت روث حصان . . .

بينيفيكو : كان ينتظره حصان .

سيتشيو : (بغموض) أجل .

بينيفيكو (بعد فترة صمت ، وقد خاب ظنه) هذا هو كل شيء ؟ . . .

سيتشيو : ماذا تريد أكثر من ذلك ، أيها الجد ؟ حصان وميت فى جنح الليل ! إن أسطورة القديس جورج أقل جمالا من هذه .

بينيفيكو : اخفض صوتك يا سيتشيو . إنك تنسى أن المقبرة ليست بعيدة ، وأنه يوجد هنا ، مصباح ساخن يخاطر بأن يضىء من جديد . (فترة صمت) وبعد ذلك ؟

سيتشيو : بعد ذلك ؟ . . . أسرعت إلى العمدة الذى كان يغط فى النوم . قلت له : اصح يا لويجى ، أحضر مسدسك الحربى وتعال ! فى ساحة القرية يتمدد رجل ، عيناه مفتوحتان على سعتهما ، ولا يتكلم . كانت كل الكلاب تتبعنى ، وكأننى ساحر . وعندئذ استيقظ لويجى فى سروال النوم وارتدى قبعته ، برغم ذلك ، مراعاة للحياء ، وهرعنا معاً لنشاهد الحادث عن قرب . ثم ذهبت لأوقظ السكرتير الذى صاح بى : « اذهب ونم يا سيتشيو، فقد أصابك كابوس ، ثم بلغ العمدة بأننى آكل أرزاً مع الملائكة » . بعد ذلك هبطت على أربع حتى قاع الوادى لأحضر الدكتور كوتو الذى كشف على الميت

بعد أن نزع ياقته ورباط عنقه لإعادة التنفس الذى لم يعد . هذا هو ما حدث أمس فى الصباح الباكر ، أيها الجد ، بينما كنت ذاهباً إلى بستانى لأرى ما إذا كانت الخضروات قد نضجت .

بينيفيكو : (بلهجة الشخص المطلع على بواطن الأمور) ليس هذا بالشىء الخطير يا سيتشيو . يخيل إلىّ أنك لا تعرف شيئاً .

سيتشيو : كيف ، كيف ؟ بالله عليك .

بينيفيكو : لست ماكراً أنت يا سيتشيو لست ماكراً ! . . . فالفراسة تنقصك والتجارب لم تحنكك .

سيتشيو : عجباً لك ! أيها الجد . . .

بينيفيكو : لا تغضب يا سيتشيو ، لا تغضب . (ثم بشىء من الغموض) عندما تقص ما شاهدته فإنك لا تقول ما حدث . . . وعندما تقول ما حدث ، فإنك لا تقص ما تبينته !

سيتشيو : ؟ . . .

بينيفيكو : أى نعم !

سيتشيو : وما الذى لم أتبينه إذن ، بالله عليك ؟

بينيفيكو : (ينظر إلى اليمين ثم إلى اليسار ويأتى بحركة من يرفع

بقبضته حقيبة جلدية) الخرج الجلدى ! (فترة صمت) الخاص بالمرحوم .

سيتشيو : هذا صحيح : لم ألق بالا إلى هذه الملحقات .

بينيفيكو : (منتصراً) يا إلهى ! (بعد فترة ، وهو ينتحى بسيتشيو جانباً) يخيل إلىّ أنه يحتوى على ثروة .

سيتشيو : كيف عرفت بوجود الخرج ؟ . . . أنت الذى كنت وقتها فى فراشك ، تحك مؤخرتك فى حمى الأغطية ؟

بينيفيكو : إنك طيب القلب يا سيتشيو !

سيتشيو : وحتى لو عرفت ذلك ، فكيف تذيع خبر وجود ثروة بداخل الخرج ؟ . . . (وفجأة يخاطب نفسه) هذا صحيح ، يا إلهى ! لابد أنه كان يقبض عليه بقوة ، على هذا الخرج ، لكن يد الميت تكون بخيلة . أيها الجد ، ولا تنفرج .

بينيفيكو : مهلا يا سيتشيو ، مهلا . فالمقبرة ليست بعيدة ، حيث السادة والسيدات يبالغون فى الاعتقاد بأنى أهتم بشئونهم . تعال هنا وأنصت جيداً . (بصوت منخفض) قبل الظهر تماماً ، رأيت لويجى يمر وهو يحمل فوق يديه خرج الليلة الماضية . يتقدمه السكرتير الذى كان يتعثر فى مشيته من فرط الحيطة والانتباه وكانت عيناه تلمعان . فقلت لنفسى :

« لا ، لا ، لكن من الجائز ! ليس هناك ما يمكن حمله بهذه الطريقة غير مخلفات الكنيسة . . . أو المال المطمور ! »

سيتشيو : ومع هذا كان الخرج خفيفاً عندما خلصته من يد الميت . إصبعاً بعد الآخر . وإلا أحسست على الفور بوجود ذهب .

بينيفيكو : الأمر لا يتعلق بقطع ذهبية توضع فى صندوق وتصطك محدثة ضجيجاً عالياً عندما تهتز . ولكن الأمر يتعلق بعملة . . عالمية وصماء . يا سيتشيو . تتمثل فى أوراق مالية جميلة تطير فى الهواء (فترة صمت) رأيت فى نابولى سيدة تملك منزلا له سلمان . لا يزيد ثمنه على بضع ورقات من هذا النوع . (بعد فترة) يخيل إلىّ أن الخرج كان مكدساً بمثل هذه الأشياء .

سيتشيو : باسم الله !

بينيفيكو : أى نعم . باسم الله !

سيتشيو : (بعد لحظة من التفكير) وإذا كنت مخطئاً . أيها الجد ، وإذا كانت الحقيبة تحتوى على صحف المدينة وعلى غيار نظيف ليوم الأحد ؟

بينيفيكو : وهل كان يدق الطبل إذن من أجل بعض الملابس . . .

ويحتفل رسمياً بدفن شخص من أجل بعض الجرائد ؟ لا ، لا ، لكن من الجائز !

سيتشيو : كنت أفكر . . .

بينيفيكو : لا تفكر ، يا سيتشيو : وإلا أفسدت ذكاءك الحاد .

سيتشيو : ربما دق الطبل لجمع الناس ومحاولة معرفة من يكون ، ذلك الذى جاء ليموت عندنا بلا مبالاة ، فى ليلة صيف ، دون أن يطرق باباً .

بينيفيكو : لست ماكراً ، يا سيتشيو ، ولا تعرف كيف تتقصى الأمور ، أو تلجأ إلى مطابقة الأحداث . . . اسمع ! (يقترب من أذنه) يخيل إلىّ أن لويجى العمدة ، كان يعرف شخصية الميت .

سيتشيو : ؟ . . .

بينيفيكو : لكن ما أراد أن يعلمه على وجه التحديد ، هو الشخص الذى عرف فى بلفنتو هذا السيد فيما مضى . هذه هى نظريتى .

سيتشيو : (يرفع يده إلى ذقنه ويأخذ فى التفكير) .
؟ . . .

بينيفيكو : لم تكن قد ولدت ، يا سيتشيو ، عندما كنت أنا حارساً فى نابولى . لا ترهق عقلك .

سيتشيو : أجل . يبدو لى أن الأمر يهم النساء أكثر . « النساء أولا » ، هكذا قال السكرتير قبل أن يتحدث .

بينيفيكو : هل من الضرورى أن أحك رأسى المسكين وأن أشرد بذهنى حتى أهمل هذه المطابقة ؟ هذا صحيح وأنت على حق!

سيتشيو : أى نعم .

بينيفيكو لقد أصبحت يا سيتشيو ، صديقاً لمطابقة الأحداث . إنى أهنئ نفسى على مجيئى معك فى الليل المظلم كى نتناقش .

سيتشيو : « النساء أولا » : هذا هو السر .

بينيفيكو : والمال المطمور أيضاً . لا نعلم أيهما الأساس . المال أم النساء . (فترة صمت) سنجد ما يسلينا فى بلفنتو ، أؤكد لك ، انتظر وسوف ترى يا سيتشيو ! يخيل إلىّ أن هذه هى بداية مأساة كبرى (فى هذه اللحظة ، تضاء فجأة نافذة أحد المنازل المطلة على ساحة القرية) انظر ، انظر ! العمدة فى دار البلدية .

سيتشيو : وأين ينبغى أن يكون العمدة فى هذه الساعة ؟

بينيفيكو : فى نومه يغط (فترة صمت) مثلنا . (فترة صمت) لو لم نكن هنا .

سيتشيو : (وهو يرى النافذة تطفأ وأخرى تضاء) لقد انتقل إلى المطبخ .

بينيفيكو : لا يوجد هناك مطبخ ! فالمطبخ فى دار البلدية ، هو أيضاً غرفة الموتى . يوماً ما ، سيسجل اسمك يا سيتشيو فى سجلات . . المطبخ .

سيتشيو : (وهو يرى ضوء النافذة الثانية ينطفىء ، ونافذة ثالثة تضاء) الآن هو فى غرفة الاستقبال .

بينيفيكو : لا توجد غرفة استقبال فى دار البلدية ! فغرفة الاستقبال هى أيضاً غرفة الزواج . يوماً ما ، سيسجل اسمك يا سيتشيو ، عندما تصبح لك قرون ، فى دفاتر . . . غرفة الاستقبال .

سيتشيو : (وهو يرى ضوء النافذة الثالثة ينطفىء . وشىء كالنافذة يضاء) يبدو أن العمدة (يتردد ثم يستطرد قائلا) منهمك . . . فى غسل يديه .

بينيفيكو : لا توجد حنفية فى دار البلدية . . . إن ما تظنه هذا المكان ، هو خزانة المواليد . فلا حاجة لأماكن كثيرة حتى يسجل المواليد .

سيتشيو : (وهو يرى المكان ينطفىء ، ونافذة أخرى تضاء) إنه فى المطبخ من جديد . ربما كان يقشر . . . تفاحة .

بينيفيكو : كلا . إنه سجل الموتى ! لا تعارضنى على الإطلاق : إنه فى السراديب ، أى العمدة ! . . . يفحص اللوحات المكتوب عليها عبارة « هنا يرقد » . كل هذا بسيط

ونظيف فى الدفاتر (يخفض صوته) أما هنالك فى المقبرة ، فتوجد صناديق القمامة .

سيتشيو : إذا كنت أتابعك جيداً ، أيها الجد ، فإنى أؤكد أن لويجى يقوم بالبحث عن وثائق أو أوراق مماثلة لها علاقة ما بالمرحوم .

بينيفيكو : أنت لا تتابعنى يا سيتشيو ، إنك تفوقنى . وليكن فى علمك ، أنه إذا كان البحث مجدياً ، فستستمع غداً إلى دق الطبل .

سيتشيو : لإذاعة بيان ؟

بينيفيكو : أو فضيحة . لأن الأمر يتعلق بشكل أو بآخر بثروة . ولويجى يبحث الليلة عن صاحب النصيب .

سيتشيو : الحرج !

بينيفيكو : ومن يعنى المال يا سيتشيو ، يعنى الانقلابات والمطاحنات والتقلبات ! هذه هى طبيعة الإنسان السيئة . هيا بنا يا سيتشيو ، (يشير إلى المصباح) أضئ لسان الأفعى هذا ولنعد إلى بيوتنا .

(سيتشيو يضىء المصباح ، ويتأهب للخروج . يتبعه بينيفيكو وعندئذ يتركز بصره على الصغيرة آنا النائمة عند جذع الشجرة التى علقت عليها صورة المهاجر) .

سيتشيو : انظر ، كرة بيضاء !

بينيفيكو : سلة بصل أبيض فى الليل .

سيتشيو : (الذى اقترب بمصباحه) ولها قدمان ، أيها الجد .

بينيفيكو : (الذى اقترب بدوره) الصغيرة آنا ! . . . ماذا تفعل هنا ؟

سيتشيو : تنام تحت هذه الصورة كما لو كانت ممرضة صغيرة . (ينحنى ويهزها) آنا . . . آنا . . .

بينيفيكو : دعها يا سيتشيو .

سيتشيو : أليس من الأفضل أن نعيدها إلى بيتها ؟

بينيفيكو : دعها ، قلت لك . (وكأنه يخاطب الجمهور) فى كل الحكايات ، يوجد ملاك . . . وآنا الصغيرة هى ملاك هذه الحكاية . (يجذب سيتشيو من ذراعه نحو باب الخروج) وككل الملائكة ، لن تفيد فى شىء !

يسدل الستار

اللوحة الرابعة



نفس الديكور . فى ساحة القرية يقف السنيور سكاراململا والسنيور بيكالوجا والسنيور بارلى ، يضعون جميعاً قبعات ريفية من الجوخ الأسود ويرتدون ثياباً رسمية ، وينتظرون أمام دار العمدة . بينيفيكو يعزف على آلة « الهارمونيكا » وهو جالس على الأرض مستنداً إلى جذع الشجرة .

المشهد الأول

بينيفيكو وسكاراملا و بيكالوجا و بار بى

بينيفيكو : (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») كنت أتشرب الموسيقى... هكذا . لأسلى نفسى . . . عندما كنت حارساً فى نابولى . . . لدى فرانشسكو أماتو . . . (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») أحد الملاك ... كان ينادينى بالمخصى . وكان السكان يعودون إلى مساكنهم فى الصباح الباكر ... أما الرجال فلا أعرف ما الذى كان يفوح منهم (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») وأما النساء فلا أعرف ما الذى كان يفوح منهن . (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») آه ! هؤلاء الفاسقون ! (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») لكن أكثر ما كان يثير سخطى . . . هو أنهم وهم عائدون مع الفجر (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») كانوا يقولون لى : صباح الخير « بيون جيورنو » Buon Giorno ... بينما كنت حارساً ليلياً . إن العالم عبارة عن صندوق قمامة عامر بالناس ! (بعد أن يكون قد تفرس فى وجوه الرجال الثلاثة ، يقول فجأة) : لا أدرى لماذا تذكروننى على الفور بهؤلاء السكان! . . .

الفلاحون الثلاثة : ؟ . . .

بينيفيكو : يا لها من مهنة ذهبية . هى مهنة الحارس ، فهى تتيح له فرصة التعرف على معاصريه ومراقبتهم ، كما تتيح له ممارسة عملية مطابقة الأحداث . (يخفض صوته ويغير لهجته ثم يقول وهو يشير إلى صورة المهاجر التى لا تزال معلقة على الشجرة) اسمه جالار . نعم ، جالار . كيف عرفت ذلك؟ ... لأنى كنت حارساً! فمن كثرة فتح الأبواب وإغلاقها، يدخل المرء بدوره من باب الفلسفة، ويتعلم منه فيضاً من المعلومات بالمجان! كم تفتح المفاتيح من أبواب! (بصوت منخفض) يدعى جيف جالار ، كما قلت ... ألا يوجد لقب جالار فى المنطقة ؟ . . . نعم لا يوجد . يوجد فقط آل جالاردو وآل جارديني وآل جالاردينو ، يوجد الكثيرون منهم فى مقبرة بلفنتو . ويخيل إلىّ أنه ينحدر من إحدى هذه السلالات . (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») .

سكاراملا : شخصياً، لا أحب نظرة هذا الرجل عندما كان شاباً .

بيكالوجا : وهو ميت ربما بدا أكثر رزانة .

سكاراملا : أجل ، لقد كان وقوراً وهو يدفن .

باربی : (كطفل ساذج) وهذا أمر لا يستهان به : أن يدخل المرء بقدم ثابتة إلى الحياة الآخرة !

بينيفيكو : (مخاطباً الرجال الثلاثة ، بعد فترة صمت) جهلة !

الرجال الثلاثة : (ينظرون فى وقت واحد إلى بينيفيكو ويحاولون أن يفهموا)

بينيفيكو : إنكم جميعاً أميون أو جهلة وأنتم تتحدثون هكذا عن السيد جالارا ! (ينفجر ضاحكاً) ها ... ها ... ها ... (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») .

بيكالوجا : هلا رفعت هذه الآلة الألمنيوم عن فمك ، وأشركتنا معك فى الضحك .

بينيفيكو : الذين يرتدون ثيابكم ، لا يضحكون ، أيها السادة ، وإنما يفكرون . لا ، لا ، لكن من الجائز ! أين البروتوكول ؟ عندما يضع الناس قبعات مستديرة وأربطة عنق هفهافة وجب عليهم أن يتشبهوا بفلاسفة نابولى : الخرس من كثرة التفكير . تعرفت هناك على أحدهم وكان يتردد على صاحب البيت . كان يهز رأسه ليعبر عن إعجابه بنشأة الكون أو يخفض ذقنه ليشير إلى أن آدم ، أبانا ، كان أصغر من صفارة . والعكس صحيح . لكنه لم يكن يضحك على الإطلاق .

باربی : ماذا جاء يفعل آدم هنا هو واكتشافاتك الأخرى ، بينما دعانا العمدة وحده .

بينيفيكو : بياقات بيضاء . . . (يشير إلى ثيابهم) وأربطة عنق هفهافة . . . لا ، لا ، لكن من الجائز !

سكاراملا : لقد حضرنا « بالزى الرسمى » لأنه طلب إلينا هذا . فماذا فى ذلك !

باربى : (مخاطباً سكاراملا) كنت على وشك أن أقول : وماذا فى ذلك ؟ . . .

بينيفيكو : فلتعزف الموسيقى إذن تحية لأناقتكم . (وفجأة يلقى بآلة الهارمونيكا ، ينهض ويتوجه ناحية سكاراملا) هل تعلم لماذا طلب إليك الحضور ؟

سكاراملا : أعتقد أن العمدة يريد أن يتحدث إلىّ بشأن الأبقار التى أمتلكها . . . أو بالتحديد بشأن حظيرة الأبقار التى أمتلكها أو بالضبط بشأن ذباب حظيرة الأبقار التى أمتلكها . فيوجد منه الكثير . الكثير من الذباب ، بينما يوجد قليل من البقر . وهذا لا يصح .

بينيفيكو : أمى! (وهو يتوجه ناحية بيكالوجا) وأنت ، لماذا أنت هنا؟

بيكالوجا : بسبب أشجار الكرز التى أمتلكها والتى تتسبب فى مشكلة مستعصية . فالعمدة يريدها أكبر حجماً حتى يصدرها . « فكر فى البرتقال وأنت تنظر إلى الكرز » هذا ما يقوله لى فى كل مرة .

بينيفيكو : جاهل ! وأنت ، سنيور باربى ؟

باربى : أنا لا أعلم شيئاً .

بينيفيكو : باربى ، إنك أعقلهم جميعاً ! (ثم يتكلم وكأنه يفضى بأكبر أسرار الكون) اقتربوا . أيها الأمراء الطيبون . وأنصتوا جيداً . (يتلفت حوله ليتأكد من أن أحداً لا يسمعه) أنتم هنا . . . بسبب السيد جالار . (يشير إلى الصورة) فبسببه تم جمعكم (من بين أنيابه) من أجل بيان . . . أو فضيحة . (فترة صمت) لقد قلت ذلك بالأمس لسيتشيو .

بيكالوجا : لم أصادف فى حياتى مثل هذا الغموض حول حالة وفاة . وهذا الدق على الطبل من أجل رجل هو الآن فى مقبرته على وشك أن يتجمد .

باربى : وما دخل نسائنا فى ذلك ؟ . . . لم تكن كلمات السكرتير مشرفة بالنسبة لهن . (وهو ينظر إلى سكاراململا) هيه ؟

سكاراململا : أكرر أنى هنا بسبب البقر الذى أملكه وليس بسبب الميت . انظر أين زرعت سكينى .

باربى : لقد ظلت زوجتى تتحدث عن السيد طوال الليل . كانت تريد أن تعرف ما معنى عرض صورته ، ولماذا طلب إليها أن تذهب مع الأخريات لرؤيتها . لقد أنهكتنى بكلامها

حتى انطفأ المصباح عند الفجر بعد أن استنفد وقوده وبعد أن صفعتها على وجهها منهياً الحديث .

سكاراملا : عندك حق .

باربى : بل العكس ، ليس عندى حق ، وزوجتى هى المحقة فى محاولة الفهم . وفوق ذلك ، سأطلب من العمدة على الفور أن يوضح لنا الأمر ، ويكشف لنا الورق ، كما يحدث فى حالة بيع بقرة . إن الأمور الواضحة لا تبقى فى الغيوم .

سكاراملا : وأنا سأرجو العمدة أن يقطع هذه الشجرة . وأن يلقى إلى المقبرة ، بالشجرة . .. وبالصورة ! ففى هذا العرض شىء من عدم اللياقة .

بينيفيكو : مهلا ، سنيور سكاراملا ، مهلا . . . بعينيك الصغيرتين اللتين تشبهان حبات الفلفل ومشاريعك . (مخاطباً الجميع) وأنتم جميعاً ، عليكم باحترام السيد جالار . (بعد فترة ، وبصوت منخفض) فمن الجائز أن يكون قريباً لكم . . . من بعيد . . . أو بطريق المصاهرة ، كما يقولون .

باربى : ليس لى قريب لا أعرفه حق المعرفة ولم آكل وأشرب معه .

بينيفيكو : (مضخماً صوته) وأنت أيضاً : مهلا ، ، سنيور باربى ، مهلا .

باربى : ليس لى قريب ، إذا أردت أن تعرف ، لم ألعنه مرة على الأقل على سبيل العشم . إن الأقارب مثل السميط فى متناول اليد ، وليسوا موسومين فى صورة .

بينيفيكو : (فجأة وفى حركة واحـــدة يجذب الرجال الثلاثة نحوه ، ثم يقول وهو يشير إلى الصورة بصوت منخفض) لقد جاء . . . ليرى ابنه ! . . . على ظهر حصان ، فى تلك الليلة . لماذا على ظهر حصان ؟ لأن الســـيد جالار رجل إنجليزى ، يحب ذكر الوقائع كما هى . (فترة صمت) وقد مات قبل أن يتحدث إلى ابنه . . . أما الحصان فقد فر هارباً . ويمكننى أن أقص عليكم عدداً من الحكايات فى هذا الشأن ، إذا أردتم ! واسألوا سيتشيو .

باربى : السيد جالار له ابن فى بلفنتو ؟

بينيفيكو : ما دام قد جاء لرؤيته . لا ، لكن من الجائز ! . . . أين هو المنطق ؟

سكاراملا : (بحدة) فى بلفنتو؟ ، لا توجد من تدعى مدام جالار .

بيكالوجا : حارس ليس عنده تمييز .

باربى : كل النساء ، هنا ، متزوجات .

سكاراملا : (بعد فترة) من أين جاء ابنه ؟

بينيفيكو : السيد جالار له ابن . . . دون أن يكون له مدام جالار .

فليفهم من يريد ، أما أنا فأفهم كل شيء . (مخاطباً نفسه ، بصوت خفيض) هذا أمر شائع فى نابولى .

سكاراملا : ما هو الأمر الشائع فى نابولى ؟

بينيفيكو : حالة مماثلة : أن يكون الشخص له ابن مثل السيد جالار . . . دون أن يكون له مدام جالار . فرانشسكو أماتو ، صاحب البيت الذى كنت أحرسه ، كان له ، بهذه الطريقة . . . عدد من الأبناء !

باربى : لكن لا بد بأى طريقة من معاشرة امرأة لإنجاب طفل ؟

بينيفيكو : آه ، أنت محق فى هذا !

باربى : الحمد لله ، فلم أكن أفهم شيئاً .

بينيفيكو : من الخير ألا تفهم شيئاً يا سنيور باربى ، من الخير ألا تفهم شيئاً على الإطلاق . إن الجهل رفيق السعادة ، فى هذه الأمور بالذات .

بيكالوجا : إذن ، لماذا تعمل على المراوغة والمداراة .

بينيفيكو : (مروعاً) لأنها حالة فاسفية (مخاطباً نفسه وهو يدير رأسه) هذا أمر شائع فى نابولى .

سكاراملا : (الذى يحتد) ماذا إذن ؟ . . . من ؟ . . .

بينيفيكو : (ببطء) . . . أن يكون للمرء ابن فى بلفنتو ، مثل السيد جالار . . . بينما جميع النساء ، هنا ، متزوجات . (يلتقط آلة «الهارمونيكا» وينطلق كالهارب . . يسمع عزفه وهو يختفى) .

المشهد الثانى

نفس الأشخاص فيما عدا بينيفيكو

(يتطلع الفلاحون الثلاثة إلى بعضهم فترة وهم مذهولون) .

بارى : لست غبيًّا فى الواقع ولكنى لم أدرك شيئاً . ظننت للحظة أنى فهمت . . . لكن « فوت » Fuuut ! مضت .

بيكالوجا : هذا الحارس غامض مثل خطب الكنيسة ، ولكن لا أنكر أنه كان على حق فى بعض الأحيان . خصوصاً عندما يلجأ إلى مطابقة الأحداث . لنجلس ونفكر . لأنى وأنا واقف أكون فارغاً . (وهو يجلس) هكذا .

سكاراملا : أما أنا . . . فسأحضر بندقيتى .

بارى : ولماذا لا تحضر غليونك ، ما دمنا سنتناقش ؟ هيا ، اجلس . (مخاطباً بيكالوجا) ماذا قال الحارس بالضبط ؟ لنسترجع حديثه ، إذا أردت . ابتداء من فلاسفة نابولى الذين شبهنا بهم .

سكاراملا : أكرر بأنى سأذهب لإحضار بندقيتى ، وأنصحك بأن تفعل نفس الشىء ، يا سنيور بارى . (مخاطباً بيكالوجا) وأنت أيضاً يا من تجلس على مؤخرتك ، كالقدر الممتلىء .

باربى : (مخاطباً بيكالوجا) ما الذى انتابه فجأة ليفكر فى بندقيته ؟ وعلى من سيصب غضبه فى النهاية ؟ ماذا قال الحارس بالضبط . أتوسل إليك ؟ إن السيد جالار له ابن ؟ . . . وبعد ذلك !

بيكالوجا : دون أن يكون متزوجاً ؟ وماذا بعد ! (فترة صمت) إن حاله يرثى لها . (فترة صمت) النساء ، والكل يعلم هذا ، تقفز وتغثو . ولا يخلو الأمر من أشياء : فليست هناك راهبة واحدة .

باربى : يجب على المرء أن يكون مستقيما حتى يحظى برضى الرب ، لا أن يكون مستديراً من كل ناحية وله شعر خفيف مثل النساء . إذا كانت الأرض تنتمى حقاً للشيطان ، فذلك لأنها مستديرة .

بيكالوجا : حاشا لله !

باربى : أسائل نفسى ، ما الذى يفعله العمدة ولماذا ننتظر منذ وقت طويل . إن حلتى تشكشكنى . . . لقد ضقت ذرعاً بالتأنق بدون فائدة .

بيكالوجا : أجل ، لقد حان موعد حضور لويجى .

سكاراملا : لكى تعلم فجأة أن زوجتك ربما كانت مستديرة من كل ناحية مع السيد جالار ؟ . . أو ربما كانت زوجتى .

(وهو يشير إلى بيكالوجا) أو زوجته ، هو الذى يجلس هنا مثل السلطان .

بيكالوجا : (ينهض ، يصيح عالياً) هيه ، وأخرتها !

باربى : (يصيح مهدداً بدوره) هيه وأخرتها !

سكاراملا : حسن ، حسن ، يمكنكما أن تصيحا « هيه ، وأخرتها » بأعلى ما فيكما وأنتما تفتحان عيونكما كمخالب الديك !... لأن الأمر يتعلق بماذا ؟ أيها الساذجان ، إن لم يكن بهذا ؟ بالأمس ، كانت زوجاتنا تمر أمام الشاب الجميل (يشير إلى الصورة) واليوم ، ندعى نحن للاستجواب..

باربى : انتظر قليلا (مخاطباً نفسه وهو يفكر ، بصوت خفيض) كل النساء متزوجات فى بلفنتو ، هذا صحيح ، فمن أين جاء ، ابنه ؟

سكاراملا . ليس عن طريق الأبقار التى أمتلكها بكل تأكيد !

بيكالوجا : ولا عن طريق أشجار الكرز التى أمتلكها ، على الرغم من أنها مثيرة .

باربى : لقد قلت : لا بد بأى طريقة من معاشرة امرأة للحصول على شىء مماثل . (فترة صمت) حقاً ، من أين جاء ابنه ، ابن الكلب ؟

سكاراملا : من أحشاء عاهر أو من إحدى زوجاتنا ، إذا أردتما أن

تعرفا ! وعلى كل ، فهذا هو ما يظنه العمدة بنا ، ظنًّا أكيداً ، وبكل صراحة .

بيكالوجا : إنى أفضل سقوط الثلج فوق أشجار الفاكهة التى أمتلكها على الإنصات لما أسمعه . لا تكرر هذا القول بعد الآن !

باربى : لا تكرر هذا القول بعد الآن ، يا سنيور سكاراململا وإلا نزعت لسانك وسحقته بنعلى . (وهو ينصرف) إنى ذاهب لإحضار بندقيتى ، وسأطلق النار على العمدة .

بيكالوجا : وأنا سأطلق النار على السكرتير ، فهو الذى أريد أن أنال منه أكثر من غيره .

سكاراململا : وأنا سأطلق النار على السكرتير ، والعمدة والصورة .

باربى : وعلى الشجرة . شجرة الثمر هذه . (يشير إلى الشجرة التى علقت عليها الصورة) . (يخرج الرجال الثلاثة ليعودوا بعد برهة وهم يحملون بنادق صيد قديمة . وعندما يكون المسرح خالياً يسمع صوت آلة «الهارمونيكا ») .

المشهد الثالث

نفس الأشخاص والسكرتير والعمدة

(يظهر السكرتير على عتبة دار البلدية حاملاً طبلته ذات الحمالة ، يتبعه العمدة ؛ يجد نفسه فجأة أمام الرجال الثلاثة بأسلحتهم . يتردد السكرتير لحظة وتبدو عليه الرغبة فى التراجع إلى الخلف . يشير إليه العمدة بإشارة من رأسه أن يتقدم) .

السكرتير : (يدق الطبل بيد غير مطمئنة ، ثم يفرد ورقة ، ويقرأ) « أهالى بلفنتو . . . »

سكاراملا : (يقاطعه بكلمات تقطر حقداً) نادنا لو سمحت بأسمائنا . . . ما دمت تريد التحدث إلينا بالتحديد .

السكرتير : (ينظر إلى العمدة ، وينتظر الأوامر) .

. . .

العمدة : (رابط الجأش) استمر .

السكرتير : السادة سكاراملا وباربى وبيكالوجا . . .

سكاراملا : (يقاطعه) اذكر بصوت مرتفع أسماء زوجاتنا . . . مادمنا موجودين هنا بسببهن فعلاً .

بيكالوجا : هيا افعل .
باربى : أكد فضيحتهن ، أيها الداعر الصغير .
سكاراملا : تجرأ ، أيها السكرتير ! . . .
السكرتير : (يلقى بنظرة مليئة بالقلق ناحية العمدة) .

. . .

العمدة : استمر .
السكرتير : (بصوت غير مطمئن) سنيور سكاراملا ، زوج دونا لورا ؛ سنيور بيكالوجا ، زوج دونا روزا ؛ سنيور باربى ، زوج دونا ماريا . . . (يقرأ) « بيان إضافى ... » (تتوجه بنادق الفلاحين الثلاثة دفعة واحدة وببطء صوب السكرتير ، الذى يتوقف عن القراءة وينظر بالتناوب إلى البنادق وإلى العمدة) .
العمدة : (لا يزال رابط الجأش) « بيان إضافى . . . »
السكرتير : (يواصل ويقرأ) « . . . وأمور جديدة عن المجهول الذى جاء ليموت فى بلفنتو ، فى تلك الليلة ، بصحبة الكلاب حرصاً وتواضعاً . إن الأمر يتعلق بشخص يدعى جالار ، جيف جالار ، الذى كان عائداً من بريسبان ، وهى مدينة فى أستراليا ، ويبلغ من العمر ستين عاماً . سن الأسرار والأحزان ، كما سيتأكد فيما بعد . (يلقى بنظرة

سريعة إلى البنادق ثم يواصل غير مطمئن) إلى هنا ، يحق الشرف للرجل الذى عاد إلى بلده ليموت فيه ويحقق أمنية . وأمنية السيد جالار ، وكلنا نعلم ذلك ، أمنية نبيلة بقدر ما هى معقدة (بصوت مهيب) لقد عاد جيف جالار إلى بلفنتو ليرى ابنه (فترة صمت) لكن كل النساء هنا ، متزوجات : نساء الأمس ونساء اليوم . (تتوجه البنادق ببطء صوب السكرتير) . هذه هى العقدة ! من وجهة النظر الشرعية ، فإن رغبة المرحوم مرفوضة : فليس له ابن ! لكن هناك اعتبارات تعلو على القانون وتدخل فى نطاق الضمير الحى والشفقة . « جئت... لأرى ابنى » ، هذا ما كتبه فى مذكرته ، قبل أن يموت مباشرة . . . ودون أن يتمكن من إنهاء كلامه . (فترة صمت) هذه الأمنية سوف تتحقق . نحن ، لويجى روكو ، نتحمل المسئولية كاملة لتحقيقها . (تتوجه البنادق أكثر فأكثر وببطء دائماً صوب السكرتير) سوف نعثر على ابنه . . . ولو بزيارة ورعة للمقبرة . (فترة صمت) والآن ، نطلب إليكم أن تحتفظوا بهدوئكم ورباطة جأشكم . طبقاً للأبحاث التى أجريت والعصر الذى وقع فيه الحادث ، فإن ثلاثاً من نساء بلفنتو من

المحتمل أن تكون إحداهن أمًّا لهذا الطفل .. (تصير البنادق فى وضع تهديد أكثر فأكثر) وهن مدام سكاراململا ومدام باربى ومدام بيكالوجا . إننا نذكر أسماءهن ونحن نرخى العيون ولا نفكر فى شىء ، إلا فى الرغبة الإلهية التى لا يمكن ردها » . (يسدد الفلاحون بنادقهم بصورة حادة نحو السكرتير ، الذى يدرك خطورة الموقف ، فيتوقف فجأة عن القراءة ويضيف من عنده وهو يتعلثم) : شخصيًّا . . . أرى . . . أن فضيلة . . . هؤلاء السيدات الثلاث . . . فوق . . . كل شك . . .

الرجال الثلاثة : (مستعدون لإطلاق النار) .

. . .

السكرتير : (يرتعد خوفاً ويئن) آآآ ه . . . آآه . . . آآه . . .

العمدة : (يقفز ويقف حائلاً بين السكرتير والبنادق . يضع يده على خصره ، وينظر إلى الفلاحين الثلاثة بتحد ، ثم يقول ببطء وهو يضغط على الكلمات) إنه يترك لابنه ثروة طا — ئ — لة ! . . .

(يتبادل الفلاحون الثلاثة نظراتهم وبطريقة لا إرادية يخفضون بنادقهم إلى جوارهم . يدخل العمدة ويتبعه السكرتير ، إلى دار البلدية . يظل الفلاحون مثبتين فى

أماكنهم دون أن يتفوهوا بكلمة واحدة . وبعد لحظات يظهر السكرتير) .

السكرتير : (يطل من فتحة الباب ، ويقول بلهجة من يفشى سرًّا وهو يكاد يلهث) النقود فى دار البلدية . . . داخل خرج . . . سوف تسلم يداً بيد . . . عجلوا بالاتفاق ، وإخبارنا عمن يكون ابنه . . . قبل أن تتدخل العدالة . إننا نتمتع هنا بكثير من الحظ لأننا بعيدون ويمكننا أن ندبر أمورنا . . . (فترة صمت) ابنه بسرعة ! . . . وإلا سيؤول كل شىء إلى الملك ! . . . (يهمس وهو يزداد اضطراباً) فى الخرج ، يوجد ما يكفى لشراء نصف صقلية ! . . . (يتلفت قبل أن يخرج) ولا تقل بعد الآن إنى داعر يا سيد باربى .

يسدل الستار

اللوحة الخامسة



نفس الديكور . الوقت ليل ترصعه النجوم فوق ساحة القرية . يذرع بيكالوجا المكان طولاً وعرضاً وهو حزين مهموم . بعد لحظة تلحق به زوجته روزا . الصغيرة أنا تنام تحت جذع الشجرة التي تعلق عليها صورة السيد جالار . لا تلحظ الشخصيتان وجودها .

المشهد الأول

روزا وبيكالوجا

روزا : ماذا تفعل هنا أثناء الليل ، كرجل ضائع أو شبح ينتعل حذاء ضخماً ؟

بيكالوجا : (لا يجيب ويجلس فوق جذع شجرة) .

. . .

روزا : بيكالوجا ، زوجتك هي التي تحدثك . (تقترب منه) فيم تفكر ، وحدك ؟ (تتلفت حولها) مع هذه الخفافيش ذات العيون الحمر ، التي تضرب الهواء كقطرة المطر ؟ أنت ، سيد الكرز ، ورجل الألوان الماهر ، كما يدعوك مصورو باليرم عندما يزورون بستانك .

بيكالوجا : ألفّ سيجارة كما ترين .

روزا : لماذا تدخن في جنح الليل ، مثل المهمومين أو الذين ينتظرون الأحلام ؟ . . . أنسيت أن الغروب قريب من الصباح بالنسبة لمن لديه عمل ؟

بيكالوجا : ألفّ سيجارة وأصابعي ترتعش وهذا ما يغضبني ويجعلني هكذا .

روزا : ومنذ متى ترتعش أصابعك ، أنت الذى تعرف كيف تمسك نفسك فوق سلم مرتفع وتقلم بطرف ذراعك الأغصان الرفيعة التى تشبه القمح ؟

بيكالوجا : (بضعف) أوه روزا .

روزا : لا تنادنى بروزا بعد الآن ، وإنما بأى اسم آخر ، ما دمت قد أصبحت شيئاً يساء معاملته وأصبحت أقل شأناً من خادمة . وهل ينبغى أن أكون طيبة فأشغل بالى بأمرك بعد الآن . (فترة صمت) آه ! عندما كنت أسمع وقع خطواتك وهى تهيم بالخارج . . . كمثل عربة أصابها العطب ، فى سكون الليل .

بيكالوجا : من له قلب ثقيل يصبح ثقيلاً فى مشيته ، كما تعلمين .

روزا : (بعد فترة) احذريا بيكالوجا .إن القدر ينصب لك فخاً .

بيكالوجا : من الذى يتحدث عن القدر ؟ أنا أم أنت يا روزا ؟... ترتدين ثوبك الوردى وأنا أرتدى السواد حتى عظامى .

روزا : إنه ثوب كل يوم . لماذا تجده اليوم مختلفاً وتجعلنى أعتقد بأنى أسأت التصرف ؟

بيكالوجا : ومن أجل من تلفين شعرك حول أذنك؟ . . . بينما لا توجد نسمة واحدة ، هنا . . . بل هو السكون المطبق .

روزا : هذا هو شعرى طوال الأسبوع . أمله عندما أذهب يوم الأحد إلى الكنيسة بصحبتك .

بيكالوجا : أقول إن هذه الخصلات المجنونة المهوشة ليست لامرأة من بيت طيب (فترة صمت) فى الأحراش تختفى الثعابين .

روزا : الثعبان فى داخلك أنت الليلة يا بيكالوجا ، إنه يخرج من فمك . عار عليك أن تشير إلى ثوبى البالى وشعرى الذابل لتزيد من تلطيخى . (برقة مفاجئة) كأنه لم يكن يكفيك أن أظهر أمامك بروحى . (تغير من إيقاع صوتها) هيا نعد . وسيكون بوسعك أن تتحدث عن السيد جالار ، وتخلط ما تسميه أكاذيبى بشتائمك . هيا . . . ألمح ضوءاً فى أحد المنازل . لسنا وحدنا فى هذه الساحة . . إن آل باربى ليسوا نائمين هم أيضاً . (تلقى من بعيد نظرة على صورة السيد جالار . وبعدفترة صمت تقول : آه ! لماذا جئت تموت هنا ، أيها الغريب .

بيكالوجا : دعيه ، دعيه يا روزا ، إنه ينظر دون أن يرى . . . وينصت دون أن يسمع . . بما أنه تحت الأرض ، بصحبة القواقع .

روزا : كما تريد . لكن مما خلقت ، حتى لا تأخذك الشفقة

برجل مات قبل أن يعثر على ابنه ؟ . . أنت الذى لا تزال على قيد الحياة ، ولك ابن .

بيكالوجا : . . . .

روزا : كيف يمكنك ذلك ؟ . . . أنت يا سيد الكرز . . . العادل .

بيكالوجا : (بصوت ضعيف) حقًا .

روزا : (ترفع عينيها وتنظر إلى المنازل فى الساحة الصغيرة) اسمع صيحات تصدر عن بيت سكاراملا . . . وصرخات فى بيت باربى . . . يا للتعساء . (مخاطبة بيكالوجا) : دع إذن هذا الكابوس للآخرين . هيا ، يا بيكالوجا . لنعد إلى البيت . زوجتك بريئة ، وليس بدقات الطبل ومهاجر نازح من بريسبان محملاً بالذهب . . . ستقبل زوجتك أن . . .

بيكالوجا : (بشدة) هذا صحيح ، هذا صحيح .

روزا : (تواصل حديثها) . . . يلطخ شرفها (بعد فترة صمت ، تقول بهمس) احمنى يا زوجى .

بيكالوجا : (بضعف ورقة ، دون أن ينظر إليها) روزا . . . يا وردتى الصقلية . (بعد فترة صمت ، وبصوت جاد) اسمعى . . . (يرفع صوته) ولن أتعازى بذلك مطلقاً . . . اسمعى هذا

يا روزا : إلى اليوم الذى تسبلين فيه عينى . . . وإلى الأبد . . . لن أحتقر إلا نفسى .

روزا : ولماذا ؟

بيكالوجا : لماذا ؟ (يصيح فجأة) كان يجب علىّ أن أطلق النار . . . كان ينبغى علىّ أن أطلق النار . . . بصرف النظر عنك ، يا روزا البريئة ، وعن السيد جالار أو ابنه . . . كان ينبغى علىّ أن أطلق النار . . . أبصق على العمدة ببندقيتى . . . عندما أعلن علينا كما لو كان يتحدى : « إنه يترك لابنه ثروة طا ــ ئـ ــ لة . . » (فترة صمت ثم يقول وهو يغير لهجته) أنا ، الرجل البسيط الذى أفكر بيدى (يصيح) كان يجب علىّ أن أطلق النار على هذه النقود التى كان يعرضها علينا . (بصوت منخفض كأنه يخاطب نفسه) ربما كنت عندئذ . . . مخلص البشرية . والآن ، فات الأوان . . . لقد أخفضت بندقيتى . . . أنا والآخرون . لم يفرغ أحدنا سلاحه وهو يصيح : « هذا من أجل المال ، يا سيد لويجى . أما الباقى ، فسنرى فيما بعد » . (يضع رأسه بين يديه ثم يقول بعد فترة صمت) فيم كان سيفيد كل هذا ؟ . . . كنت ستلقى فى السجن ، أنت ، يا مخلص البشرية . . . زوجتك

وابنك فى حاجة إليك يا بيكالوجا . . . ابنك الذى هجر صقلية لأنه لا يوجد كرز يكفى ثلاثتنا .

هذا صحيح .

روزا : (تمرر يدها برقة فوق شعر زوجها) .

. . .

بيكالوجا : (بعد فترة صمت ، ينهض ، يتقدم بضع خطوات ثم يقول فجأة) ما اسم ابنى ؟

روزا : (مندهشة) ماذا تقول ؟

بيكالوجا : (متجهاً ناحية زوجته ، وابتسامة خفيفة على جانب شفتيه ، ووجه عابس تعلوه الكآبة) ما اسمه ؟

روزا : تريد أن تلهو يا بيكالوجا ؟

بيكالوجا : (لا يزال عابس الوجه) قولى اسمه ، ما دام هذا يسعدنى .

روزا : أونريكو .

بيكالوجا : وماذا أيضاً ؟ (بلهجة جافة) . . . عندما كان يزداد حبنا له .

روزا : ريكو .

بيكالوجا : (متصنعاً) انظرى . لم أعد أذكر هذا الاسم الصغير . . . الناضر كالبندقة . . .

روزا : (تشير بيدها) عندما كان ارتفاعه لا يزيد على هذا .

بيكالوجا : (يدير رأسه ويمسح بسرعة قطرة دمع) كل هذا يبدو صحيحاً . (وفجأة يعاود تصنعه) وأين هو ، هذا الابن ؟

روزا : إنك تعلم جيداً . فى المكسيك الجديدة .

بيكالوجا : من هى الجديدة ؟

روزا : نهايته . . . إنك تقرأ خطاباته مثلى . (فترة صمت) والخطاب الأخير فى جيبك .

بيكالوجا : ليس فى جيبى غير هذا المنديل ذى المربعات . (يبرزه وينتهز الفرصة ليتمخط . ويقول بعد فترة) لماذا تكون المكسيك جديدة ؟

روزا : آه ، لا أعلم شيئاً .

بيكالوجا : حسن ، ولا أنا . (بعد فترة) وماذا يفعل ابننا فى ذلك الأفق البعيد ؟

روزا : إنه عند العم بيزا Pisa ، فى ميتشيبو .

بيكالوجا : يا له من شقى خليع . هذا العم . فى مهنته . . مهنة كسار الزلط وكذلك . . . الفك . لم أر فى حياتى قبضات (يظهر قبضته) فى مثل ضخامة قبضة أخى بيزا . (فترة صمت . بلهجة أليمة غامضة) لن يتعلم ابننا الأدب بصحبته ، هيه يا روزا ؟ . . . انتظرى لحظة . سنرى ذلك عن قرب (يخرج من جيبه خطابات وخطابات) .

روزا : . . . .

بيكالوجا : (مخاطباً روزا ، وهو يخشى عتابها لأنه ادعى منذ برهة أنه لا يحمل أى خطاب لابنه) وبعد ، دعيني في هدوء ! (يفض خطاباً) هذا الخطاب ليس بقديم للغاية . (يقترب من أحد المنازل بالساحة ، حيث ينبعث من النافذة قليل من الضوء . يقرأ) « . . . نعيش فى مزرعة حظيرة . . » (يتوقف ، يمط شفتيه ليبين أنه لا يفهم معنى الكلمة ، ثم يواصل قراءته) « . . . أو إذا شئت .. فنحن مزارعو حظائر . . . » Des Rancheros (مخاطباً روزا) : وهذه الكلمة أيضاً لا أفهمها . (يقرأ ببطء أكثر بسبب قلة الضوء) « . . . فى السهل آلاف الحيوانات ذات القرون تقضم العشب . . . أرتدى قبعة من القش فى شكل البرج . . . الشمس حامية مثل الفلفل الأحمر ... أسمع صرخة صادرة من البار فأهرول نحوه . . . العم بيزا قتل لتوه حارس البيت. . . » (يقطع قراءته ويقول بلهجة ألمية) أرأيت يا روزا . أرأيت ! . . . (يستأنف قراءته) « . . . الرجل مطروح أرضاً ، وفى يده مسدس لم يستعمل بعد . . . » (يقطع قراءته . ويرفع ذراعاً إلى السماء ، ثم يقرأ من جديد) « لقد شتم العم بيزا

ضابطاً . . . وقال له : رح فى داهية أنت وحكومتك ... ثم سحق أنفه بين أصابعه . . . » (يتوقف عن القراءة) أرأيت يا روزا ، أرأيت ! . . . (يقرأ) « دخل العم بيزا محل بقالة . . . كان يبحث عن شخص يدعى بانشو . أما بانشو الذى كان موجوداً بالمحل . . . فقد قفز من النافذة . . . » (يتوقف عن القراءة ، يتنهد ثم يخاطب روزا) : وهلم جراً ! . . .

روزا : لكن ما هى نهاية هذا الخطاب ؟

بيكالوجا : « قبلاتى الحارة لكم . (فترة صمت) أونريكو » .

روزا : وبعد ذلك ؟

بيكالوجا : (يقرأ بهدوء مغيراً لهجته) . . . « لقد أعطانى العم بيزا ، فرانك . . . سيصلك نصفه كل أسبوع . . . إننى أحتفظ بهذا المال لأبعث به إليك قريباً » . (يعيد الخطاب إلى جيبه ، ثم يجفف فى الخفاء دمعة على طرف عينيه) .

روزا وبيكالوجا : (يجلسان الآن معاً على المقعد ، ويتبادلان الصمت فى ذكرى ابنهما) . . .

بيكالوجا : كم كان عمرك عندما عرفتك ؟

روزا : ستة عشر ربيعاً . وأنت ، كنت فى العشرين من عمرك .

بيكالوجا : كنت فى العشرين ، منذ عشرين عاماً ! لكم يتعارض الشيئان المتشابهان ! . . .

روزا : الزمن عجوز يتمتع بمكر الأطفال .

بيكالوجا : يريد أن يلعب .

روزا : ولذلك تبقى الأرض مليئة بالأطفال ، ولا تشيخ أبداً . أما نحن . . .

بيكالوجا : (بعد فترة صمت) لا نشيخ أبداً مادمنا معاً . فالكبر هو الوحدة قبل كل شيء . (يلقى بنظرة على صورة السيد جالار) هل كان مجيئه إلى بلفنتو لابدّ منه . . . هذا السيد ، لكى أتعذب ، وأفكر ؟ . . . وأحدثك ، يا روزا ، كرجل قرأ كثيراً من الكتب ؟

روزا : قل له كلمة رقيقة ، ما دمنا الآن سعيدين . . .

بيكالوجا : (يقترب من الصورة ، يتردد ، ثم يقول بصوت خافت) مساء الخير ، يا — سيد جالار . أنا لاأحقد عليك . . . إكراماً لابنى .

روزا : بيكالوجا ، أيها العادل !

بيكالوجا : والآن ، لنغادر هذه الساحة يا روزا . . . هيا بنا نمشى تحت الأشجار ، ولنترك بهيمة الليل السوداء تعزف على وترها ، حتى يطلع النهار .

(يخرجان) .

المشهد الثانى

لورا وسكاراملا

(تصل لورا وهى تجرى فى ساحة القرية بكل ما فيها من قوة ، وقد تهدل شعرها وتمزقت سترتها) .

سكاراملا : (يتبع زوجته وهو زائغ البصر كالمجنون . يحمل آلة « المندولينا » . لا يكاد كلامه يفهم ، لشدة ثورته) . سوف ترقصين . . . سوف ترقصين . . . وتنتشرين كضوء المصباح . . . وتسيلين كقطرات الماء . . . سوف ترقصين . . . وتدورين فى كل اتجاه . . . وتتعرين حتى نهاية ثوبك . . . ها هى ذى الماندولينا . . . (يضرب الأوتار وينتزع منها أصواتاً محشرجة وغير واضحة) ارقصى ، قلت لك ! . . . إن الموسيقى شقيقة الضياع ! . . . سوف ترقصين . . . ارقصى كما كنت ترقصين عندما التقيت بك لأول مرة فى الغابة . . . وكنت أنا شاباً يافعاً أرتدى قبعة رمادية . . .

لورا : (بصوت متهالك) كنت بمفردى ، وكنت أرقص لنفسى .

سكاراملا : كانت الأشجار ترمقك . . . وكانت ريح السماء تلعق جسدك كله ، أيتها الكاذبة ! . . . (يضرب الماندولينا)

ارقصى قلت لك . . . ارقصى كما ترقص الأرض اليابسة عندما تمطر السماء . . . (يزوم) ألا تريدين أن ترقصى ؟ . . . ارقصى حتى تخرج روحك من فمك !

لورا : (تطلق صرخة أليمة) ها آآآ ! . . . (ثم تقول بصوت منهك) أنت مجنون !

سكاراملا : مجنون من العار ومن الغضب . . . مع الماندولينا . . . (يخرج من جيبه بعنف عقدين وحزاماً) قولى لى . . . وهذان العقدان (يلوّح بهما) اللذان وجدتهما فى دولابك ، وهذا الحزام المرصع باللؤلؤ ، والذى تلبسه نساء المدن . . . ممن حصلت عليها ؟ . . .

لورا : منك (بإشفاق واضح) عقدان من الخرز وحزام من الصدف طوال عشرتنا . . . أليس كذلك ؟

سكاراملا : (يترك الماندولينا تسقط من يده ، يجلس فوق جذع شجرة ، وقد نال منه التعب)

. . .

لورا : (تتوجه ناحية صورة السيد جالار ، وباندفاع يشوبه الغيظ تقول) انظر إلىّ . . . استمع إلىّ . . . هل التقيت بك مرة واحدة ؟ . . . هل رأيتك قط ؟ . . . هل تحدثت إليك قط ، أيتها الورقة السوداء المطعونة بسكين ؟ . . .

آه ، أجب ! . . . إن حياتى معلقة هذه الليلة بخيط ، إنها معلقة بأوتار هذه الماندولينا . . . أنت الذى قد مات . . . ويراك الجميع شاباً . . . ارأف بحالى ، أيها الساحر ! (تسقط إعياء عند جذع الشجرة) .

سكاراملا : (بنظرة شرسة وصوت بطىء للغاية ، وملىء بالمعانى الخافية) سوف يبزغ القمر ، يا لورا . . . ليس من الخير أن تبكى تحت القمر . . . إن الدموع تتحول إلى حبات كبيرة من الملح . . . وتلهب العيون . . .

لورا : (تنتحب بصوت خافت) . . .

سكاراملا : حاذرى ، يا لورا ، من ضوء القمر ! . . . (يخاطب نفسه بلهجة غريبة) شقيقتى لم تعد ترى . . . بسبب القمر . . . صحيح أنها كانت ترقص مثلك . . . (فترة صمت) اسألى ، زوجها ،عما جرى لشقيقتى ، فيما مضى .

لورا : لن أهجر جذع هذه الشجرة ، إنها باب موتى .

سكاراملا : لا تتعجلى الأمر . . . فلا يزال أمامنا ما نقوله . . . ولا يزال الصباح بعيداً . حاذرى من خيوط القمر الحريرية يا لورا . . تلك الخيوط التى تفقأ العيون . . .

لورا : (تهب واقفة وتطلق صرخة) آآآآه ! . . .

سكاراملا : (بعين حادة يبدأ فى تهدئة كلامه) هذه هى قصة شقيقتى . . .

لورا : لا ! . . . لا ! . . .

سكاراملا : كفى إذن عن الصراخ ، إذا كنت تخشين من أن أقصها عليك . ابقى فى هدوء مع خطيئتك . لا تصرخى بعد الآن ! فساحة القرية خالية . والجميع يغطون فى النوم . (فترة صمت) تكلمى الآن يا لورا ، تكلمى قبل أن يبزغ القمر ، ذلك الوجه بغير عيون . . . نور الزمان .

لورا : ما الذى يجب أن أقوله أيضاً ولم أقله بعد ! . . . أين أجد أسباباً جديدة ؟ . . . أيها السيد الشرير ، والرفيق القاسى ! . . . للمرة الأخيرة ، أقسم بالصليب الذى أضعه داخل صدرى ، وبالصلبان التى ترسم فى الهواء بالأصابع وهى الصلبان الحقيقية ، لأنها روحية (تشير إلى الصورة) إنى لم أر هذا الرجل فى حياتى (فترة صمت) والآن ، سأرقص ، إذا شئت ، بكل هذه الصلبان حولى .

سكاراملا : (وقد عاد إلى هدوئه فجأة) آه ، إنك تنعشينى عندما تتكلمين هكذا . . . كلا ، لن ترقصى وسط هذه الصلبان جميعاً . . . يا لعارى ! هأنذا قد هدأت . تعالى !

سنتحدث كصديقين يصادفان بعض الهموم ، ولكن بدون قلق . (يبتسم برقة) لورا ، إن القمر طبق من الفضة دائماً ما ينكسر .

لورا : (لا تحرك ساكناً) .

. . .

سكاراملا : (يتوجه ناحيتها) من ذا الذى أثخنك بالجراح هكذا ... من الذى مزق ثيابك ؟

لورا : (هامسة) ليس أنت .

سكاراملا : من ذا الذى جعلك كالشحاذة ؟ . . . زوجتى المسكينة ، من الذى تسبب فى تفجير الدماء على حافة شفتيك ؟...

لورا : ليس أنت !

سكاراملا : (وهو يستشهد بالليل) أيها الليل الرقيق كخيوط العنكبوت الفضية ، انس ما رأيت .

لورا : (وهى تخاطب الليل بدورها) كفى .

سكاراملا : ألق بظنونى وجنونى فى البحر ، مع الأمواج التعسة .

لورا : انس هذه الليلة ، أيها الليل الرقيق !

سكاراملا : (وهو لا يزال ينظر إلى السماء) سر فى طريقك أيها الليل .

لورا : أيتها الساعة القديمة إن كل دقيقة فيك تتلألأ .

سكاراملاولورا: (معاً) أيها الليل ! . . . انس هذه الليلة .

لورا : (بعد فترة صمت) وها نحن أولاء قد صلينا معاً ، على ما أعتقد .

سكاراملا : واجتمعنا من جديد (يمسك السلسلة التى تحيط بعنق زوجته) حول صليبك الفضى الصغير ، أنا وانت ، كأنا فى فراش . . .

لورا : وعادت ساحة القرية مألوفة لنا بأشجارها . . .

سكاراملا : (ينظر إلى الصورة) فيما عدا هذا المشنوق . . . الذى لم يعد يتأرجح . (بعد فترة صمت) . لكن كيف جاء إلى بلفنتو ؟ . . . من ذا الذى أحضرك ، إلى هنا ، ذات ليلة وانصرف ؟ . . . كيف جاء ، يا لورا ؟ . . . هذا البغل الأعرج ، بحمله الذهبى . . .

لورا : (توصل الكلام) وآلامه .

سكاراملا : آه ، إن الشيطان يخدع الناس جميعاً فى هذه الحياة .

لورا : بما أنه يجعلنا نمقت الآن شخصاً غريباً . . . لكم أحب أن أراه يموت مرة أخرى !

سكاراملا : لا يوجد فوقه تراب كاف فى مقبرة بلفنتو .

لورا : قليل من زهر القرنفل وقليل من الدبابير ! . . .

سكاراململا : وكثير من الرحمة ! (يفسر قوله) خمسون شمعة عند دفنه ، هل رأيت ، يا لورا ؟ . . . والأب أوروري فى المقدمة ، كان يبدو أنه يجذب كل الموكب نحوه هو ، وهو يصلى بالللاتينية إمعاناً فى الأبهة ! (فترة صمت) إنى أتساءل من أين سيختار الله خوريه .

لورا : الأب أوروري لم يرفض على الإطلاق أن يشيع جنازة فقير .

سكاراململا : أجل . . . أجل . . . لكن كيف ؟ بقبعة من القش فى الصيف ، وفى الشتاء بكوفية حول العنق . بسبب البرد . وهو مستاء طول الوقت ، يتقدم بخطوات غير مستقرة ، كما لو كان الإيمان فى حاجة إلى عكازين .

لورا : إنه رجل مسن .

سكاراململا : ومع هذا كان يبدو فى أوج الشباب . . . عند دفن السيد جالار ! عين ممتلئة بالحياة كورق الحس وخطوة نشيطة ولحية كأنها مكوية . أغلب الظن أن البخور يتعاطف مع الثروة .

لورا : ربما كنت على حق ، ولكن . . .

سكاراململا : ولكن لماذا ؟ لقد شاهدت جيداً دفن السيد جالار . لقد كان مولد ثروته ! هل تذكرين الحديث الذى ألقاه

الأب أوروري أمام القبر : « اعلموا أن الثراء كالفقر ، مثال فى حد ذاته ! »

لورا : أنت على حق ، ولكن احترم خورى قريتك .

سكاراملا : (خارجاً عن طوقه) هل تعلمين ما قاله ، خورى قريتى ، لنيكولا العجوز ، وهو يتحدث عنا ؟ « فليسرع هؤلاء الرجال الطيبون ، وإذا كانوا يشعرون ببعض الحساسيات فى تصفية هذا الموضوع ، ذكرهم بأن موسى كان يركب قرنين ويقدم الوصايا العشر فوق الجبل ، وبأن موسى ليس أول المنزلين ! »

لورا : (تخاطب نفسها بصوت خفيض) أين أنت ، يا وجه المسيح السمح ؟ . . .

سكاراملا : آه ، حقاً ، من السهل أن نقول ذلك .

لورا : والسنيور لويجى ، العمدة ، ما فكره فى كل هذا ؟

سكاراملا : إنه لا يفكر . يتكلم بالحق أحياناً .

لورا : لكن ماذا يقول هو أيضاً ؟

سكاراملا : (بحركة مبهمة) إن المهاجرين يخلقون مشاكل فى الذهاب والإياب . . . وإنهم يتركون بلادهم كالنباتات فى الأصص ، ويعودون إليها أشبه بأشجار الفرو العملاقة .. وإن بلفنتو فى حاجة إلى روح الإقدام والمهارة اللذين

يتحلى بهما السيد جالار فى أعماله ، وذلك لأجل تقدمها ورفاهيتها . . .

لورا : كيف؟

سكاراملا : أى نعم ! إن الإنسان لا يموت عندما يملك المال . . . إنه يغير طريقته فقط . . . (يرفع صوته) وهكذا يستمر الحال ! (فترة صمت قصيرة) طالما أن الناس لا يدفنون مع ثرواتهم ، فلن تكون هناك عدالة ولا حضارة . وأرجو ألا تفترضوا أنى سيء النية !

لورا : لماذا يحوم الناس جميعاً حول تركة السيد جالار ، ما دامت لا تؤول . . . إلا إلى ابنه ؟

سكاراملا : إن مصاحبة الثروة تبعث على الانتعاش والابتهاج ، على مايبدو ... إنها أشبه بالجو الصحو ، يستفيد منه الجميع ، إذا صح هذا القول . كان بينيفيكو ، ذلك الحارس اللعين ، يقول يومها ، إنه لم يضحك فى نابولى أبداً كما ضحك وهو بصحبة الميسرين . ومع هذا لم يكونوا يعطونه شيئاً . (بعد فترة صمت يقول بهدوء) إن مال الفقراء حزين .

لورا : (تطأطئ الرأس) .

. . .

سكاراملا : ولكنى أضيف قائلاً بأن شرف الفقير يساوى عمدة

وخوريًّا ! . . . وأنه لا يوجد شرف إلا ويكون صاحبه فقيراً قبل كل شيء .

لورا : هدئ من روعك ، أرجوك . إن ما نملكه نحن ، لا يستطيع أحد أن يأخذه . (بحنان بالغ وهى تتوجه نحوه) ضع يدك على خدى . . . (وهى تنظر إلى السماء) وعلى الليل الجميل وهو فى موضعه كميزان عادل . . .

سكاراملا : أن يضع حليه على خدك الآخر .

(يسمع فى الغابة صوت هارمونيكا . سكاراملا ، الذى كان يتقدم ناحية زوجته ، يتوقف فجأة . ينصت وقد ثبت فى مكانه وهو يضغط على أنيابه . أما لورا التى اضطربت فلا تحول عينيها عن زوجها) . إنه بينيفيكو ، ذلك الحارس اللعين ، يمر فى الغابة . . . بصحبة موسيقاه .

لورا : (تتقدم خطوة نحو زوجها) .

. . .

سكاراملا : لا تتحركى (يقطب جبينه) لا أحب الاستماع إلى هذه الموسيقى . . . إنها تذكرنى بأشياء لعينة . (يتجه ناحية المكان الذى تتناهى منه الموسيقى ويتوقف . يتوقف اللحن فجأة ، ثم يستأنف بعد لحظات) .

لورا : لحن طفل فى فم رجل عجوز .

سكاراملا : ولو كنت تعلمين ما قاله لى بينيفيكو مؤخراً . . إنه هو الذى دفعنى إلى التفكير فى هذه الأشياء اللعينة !
(يستمر اللحن ساخراً) .

سكاراملا : اجمعى بعض الحجارة الكبيرة ، يا لورا . (يصيح) أعطنى حجارة . (تنظر لورا مشدوهة إلى زوجها ، دون أن تتمكن من الفهم . تتوقف الموسيقى ، ثم تستأنف وأخيراً تختفى . (سكاراملا مخاطباً نفسه) ها هو ذا الخوف ينتابنى من جديد والقلق . . . كل شىء يعود ! . . . كما لو كنت أمام حقل كبير غير محروث ، علىّ أن أقلب تربته الصلبة بيدى ... إنى أختنق ، وأشعر باليأس . . . أشبه بعصفور يطير فى الماء . . . ويغرق .

لورا : ؟ . . .

سكاراملا : (يقول وهو يلهث بدون مقدمات وبطريقة وحشية) أى أبنائنا الثلاثة ليس ابنى ؟ . . . لا تنطقى اسمه . . . لا تمسى شعرة واحدة من رأسه . . . قولى فقط فى أى بلد هو . . . بما أن أبناءنا الثلاثة قد هجروا صقلية . قولى اسم البلد فقط . . .

لورا : ! . . .

سكاراملا : . . . وسأشكرك لأنك تحدين من ألمى . (فترة صمت)

أى أبنائى الثلاثة ليس ابنى ؟ . . .

لورا : (وقد خرجت عن طوقها) ما دام ما تقوله ليس صحيحاً ، أجيبك : هو الذى تحبه أكثر .

سكاراملا : الذى أحبه أكثر ؟ . . . إنه يعمل بناء . يضع أسوداً من الحصى على واجهات المنازل . . . وهو معلق بالحبال . . على مسافة مرتفعة ، فى السماء . (فترة صمت) إذن . . . لتذوب الحبال ، فى هذه اللحظة ذاتها وتنقطع . . .

لورا : ! . . .

سكاراملا : وليسقط . . . كدمية صغيرة .

لورا : (تزحف عند قدمى زوجها) لا تقل هذا ، أيها القروى ، لا تكرر هذا القول . أيها التعس ! من الجائز أن يأخذ القدر بكلامك — هناك الوقت نهار الآن حيث يقوم ابنك بعمله ! (منتحبة) دع ابنك مع الأسود .

سكاراملا : فليسقط !

لورا : (عند قدمى زوجها) لتتماسك الحبال . . . لتتماسك الحبال ! . . .

سكاراملا : (بصوت منخفض ومتواصل . مخاطباً نفسه بعد فترة) لتتماسك الحبال . . . أجل ، لتتماسك الحبال ، يا رب !

(يخلص قدميه ويتوجه ناحية البيت ، دون أن ينظر إلى لورا) .

لورا : (تنهض وتتبعه) أيتها العذراء ، ذات العيون السود ، الرقيقة كالخبز . . . احمينى ، احمينى ! . . . تعالى غداً . . . وليطلع النهار من جديد !

(يخرجان)

المشهد الثالث

آنا وشخصيات حلمها ثم سيتشيو

(عند جذع الشجرة ، تبدأ الصغيرة آنا فى حلمها . إضاءة الأحلام الواقعية واللاواقعية . موسيقى تذوب رقة ، تتناهى من بعيد) .

آنا : (تنهض وتتلفت حولها) .

. . .

السكرتير : (يظهر فجأة ، جامداً كالتمثال فى أقصى الساحة . يرتدى زياً عسكرياً له صفان من الأزرار الفضية . يدق الطبل بعصبية . لكننا لا نسمع أى صوت) .

. . .

آنا : (تنظر إلى السكرتير الذى لا يلبث أن يختفى) .

. . .

الفتى صاحب الصورة : (يظهر فى أقصى المسرح) .

. . .

آنا : (تلتقى عيناها بعينى الفتى . تبتسم له) .

. . .

الفتى صاحب الصورة : (يتقدم نحو آنا ، ببطء شديد) !

. . .

السكرتير : (يظهر فجأة ، يدق الطبل دون أن يحدث صوتاً وفجأة يختفى) .

. . .

لورا ، روزا ، ماريا : (يظهرن . يجلسن ثلاثتهن فوق المقعد . يبدون متأنقات على طريقتهن ، يلبسن قبعات و يضعن أوشحة على وجوههن .

. . .

آنا : (تتطلع بقلق وغيرة صبيانية إلى الفتى الذى يراقب النساء الثلاث) .

. . .

الفتى صاحب الصورة : (يلتفت ناحية آنا ، يهز رأسه برفق كما لو كان

يقول « لا » ويبتسم للفتاة الصغيرة) .

. . .

آ نا : (تتوجه ببطء ناحية الفتى الذى يأخذها بين ذراعيه ، ويرفعها ويطبع قبلة على وجنتيها ، كما يقبل المرء طفلة صغيرة) .

. . .

الفتى صاحب الصورة : (يمسك آ نا من يدها ، ويتقدم بها إلى أقصى المسرح للخروج) .

. . .

السكرتير : (يظهر فجأة ، يدق الطبل دون أن يحدث صوتاً ، وفجأة يختفى) .

. . .

آنا والفتى : (فى الوقت الذى يغادران فيه ساحة القرية ، يعترض طريقهما . إلى اليمين ، سياج ضخم من البوم الأسود ذى العيون البراقة ، فيغيران اتجاههما .

. . .

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل دون أن يحدث صوتاً ، ثم يختفى) .

آنا والفتى : (يقابلان ، ناحية اليسار ، سياجاً من العصافير الحمر . يهشها الفتى بيده برفق كما لو كانت نباتات متسلقة

ويغادر مع آنا ساحة القرية) .

. . .

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل ، دائماً دون أن يحدث صوتاً ، فى نفس المكان ، ثم يختفى) .

مهاجر بريسبان : (قابع فوق المقعد ، كما رأيناه فى اللوحة الأولى) .

. . .

آنا : (تعود بدون الفتى ويبدو أنها تبحث عنه . تقع عيناها على المهاجر) .

. . .

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل ، ثم يختفى) .

. . .

الفتى صاحب الصورة : (يظهر ويذهب ليجلس بالقرب من المهاجر) .

. . .

آنا : (تقترب من المقعد وبدلا من أن تنظر إلى الفتى ، تضع رأسها فوق ركبتى المهاجر) .

. . .

الفتى صاحب الصورة : (يهدهد رأسها برفق وهى راكعة) .

. . .

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل دائماً دون أن يحدث صوتاً ، ثم يختفى) .

. . .

الفتى والمهاجر : (يختفيان بدورهما) .

. . .

الأب أورورى : (يظهر فى شرفة دار البلدية ، يمسك صنارة صيد بيده . وبعد لحظة يلم صنارته . فى نهاية الخيط تتعلق بومة) .

. . .

(على حين فجأة ، تتوقف الموسيقى العذبة البعيدة . تعود الإضاءة إلى حالتها الأصلية . عند جذع الشجرة ، ترقد الصغيرة آنا) .

سيتشيو : (يدخل حاملا مصباحاً فى يده ، ينحنى على آنا ويهزها برفق) آنا . . . آنا الصغيرة .

آنا : (تفتح عينيها ، تدعكهما ، وتتلفت حولها ، فى دهشة) .

سيتشيو : اصحى . . . جدتك تبحث عنك . . . تبحث عنك فى كل مكان ، تلك العجوز المسكينة . هل يفكر أحد فى أن ينام هنا عندما يكون له حجرة جميلة مع جدته . خذى هذا المصباح وانصرفى .

آنا : (تنهض ، تتلفت حولها مرة أخرى وهى تبحث عن شخصيات حلمها) .

. . .

(تخرج)

سيتشيو : (وهو على وشك الخروج ، تضاء فجأة نافذة فى دار البلدية) غرفة الزواج ! . . . (يضع سبابتيه على الفور فوق جبهته كما لو كانا قرنين ، يقفز قفزة سريعة فى الساحة ويخرج بدوره) .

المشهد الرابع

بــاربى وماريا

(يدخل السنيور باربى تتبعه ماريا التى تمسك بيدها مروحة تهوى بها زوجها وهما يسيران) .

باربى : أعطنى هواء، وليعطك الله الصحة ! (وهو يسير) ياله من يوم، ياله من يوم ، منذ ذلك الاستدعاء! كدت أقتل السكرتير كما كدت أقتل العمدة . وعندما رجعت إلى البيت ... كدت أن أقتلك أنت ! هواء ، هواء لو سمحت ! ولكن

لم أقل أيضاً إنى لن أقتل الحورى . (عند هذه الكلمات تهوى له بشدة) آه ، هأنذا الآن غارق إلى أذنى . مفكراً ، متأملاً . كما لو كنت ملقى فى هذه الساحة . المظلمة الآن فيما يبدو . هواء ! (تهوى له بأقصى سرعة) . لقد فكرت طويلا منذ هذا الصباح . ودخلت فى قرارة نفسى ، ثم خرجت ، لدرجة أنى لم أعد أعرف إذا كنت خارجها . . . أو داخلها. هواء ! (تهوى له) ليزعموا أن أحد أبنائى هو ابن السيد جالار : لست أنا الذى أموت بالسكتة القلبية فى الأربعين من عمرى بسبب هذه الثرثرة . (يشير إلى الصورة) لست أنا الذى يموت مثله ! سكيراً بحكم مهنتى وصانع رشاشات فإن الانتعاش صديقى . إنى رجل هادئ . (تهوى له بأقصى سرعة وبشدة أكثر) لست أنا الذى يشعل النار كبركان سترومبولى Stromboli . هذا صحيح . (فترة صمت) هواء ! هواء ! آه يا ماريا ، لو كنت تستطيعين أن تهوّى بداخلى . (ينهض ، يتراجع بضع خطوات كأنما ليحسن الرؤية) لكن لننظر قليلا إلى امرأتى . لأنى . أعترف يا ماريا ، بأنى لم أرك منذ عشرين عاماً على الرغم من أنك تعيشين بقربى . كنت أنظر فقط إلى فمك وأنت تأكلين ، وذراعيك وأنت تنشرين الغسيل ،

وبطنك وأنت تحملين ثمرة . لا بد من الذهاب إلى المدينة لاكتساب أفكار جديدة (بحركة مفتعلة) ومقارنة المرأة بالفلفل والعسل مع تشبيهها بالملائكة . أى نعم . ولذلك يجب ألا يكون المرء بائع خردة مثلك يا باربى ، ولا بستانياً مثل بيكالوجا أو تاجر ألبان بمزمار مثل سنيور سكاراملا . (تقع عيناه صدفة على الماندولينا المطروحة أرضاً) انظرى ! جاء سكاراملا يعزف على الماندولينا لزوجته . هذا يدهشنى كثيراً . فليس هذا هو الوقت المناسب (فجأة كأنما يتذكر طلب النجدة) هواء ! هواء !

ماريا : (بضجر) هكذا هى حياتى منذ هذا الصباح .

باربى : مم تشكين ؟ من أنك تحركين المروحة وتنعشين أفكارى وتبعدين عنى كل هذا الذباب الطنان الذى ينصحنى بفعل هذا أو ذاك ، يا لى من ماكر كبير .

ماريا : ليلهمك الله الحكمة ، يا زوجى ! لكن هواء لا . فالوقت ليل يكاد أن يكون بارداً . سوف يضحك منا الناس إذا ما شاهدوا رجلا ضخماً مثلك تنعشه زوجته بمثل هذه البلاهة .

باربى : إنها يدك التى أريدها بالقرب منى ، وليس المروحة .

ماريا : يدى ؟ تلك التى تحمل خاتم زواجنا ، لقد هجرتها تماماً ،

يا باربى المسكين ! إنها فى دار البلدية حيث بصقوا على خاتمنا الذهبى . . . فى وجودك .

باربى : (يصيح) هواء !

ماريا : (تواصل حديثها) . . . برغم بندقيتك المحشوة وقوامك المهيب .

باربى : هواء ! هواء ! هأنذا أتهم بالجبن الآن .

ماريا : لا أعرف ماذا تكون ، يا زوجى ، لكن لن أكون التى تبعث إليك بالنسيم .

باربى : ماريا ! . . . يبدو أنك كرهتنى فجأة . وفيما تفيد الزوجة إذن ؟ أبحث فى كل مكان ولا أرى شيئاً .

ماريا : انظر فى قرارة نفسك ، أيها الزوج المذبذب ، الذى يخبرونه بأن أحد أبنائه ليس ابنه ، فيعود وهو يشعر بالحر ليس أكثر . (تقلده) هواء ! هواء ! (تمزق المروحة بغضب شديد وتلقى بها على الأرض) .

باربى : هيه ! هيه ! . . . قلت لك إنى كنت سأقتل الخورى . هذا أكثر مما يجب .

ماريا : آه ! كم كنت أود أن يكون أحد أبنائى (تشير على البعد إلى الصورة) منه . . لا لشىء إلا من أجل التمتع بإخبارك بهذا !

باربى : اعترف بأنى أكثر حيوية . . . وأكثر تعقلا من السنيور سكاراملا (يشير إلى الماندولينا) الذى يعزف على الـ . . . (يأتى بحركة العزف) لزوجته . (بعصبية) هذا شىء يبعث على الحيرة ! (يتقدم بضع خطوات ، ثم يقول لنفسه بصوت منخفض وقد انتحى جانباً) إن لم يكن يفكر فى الثروة .

ماريا : . . . .

باربى : باربى المسكين ! ها أنت ذا مطعون فى نصفك فقط ، ومتهم فى شرفك بنصيب الثلث فحسب ، ما دام الأمر محصوراً بين النساء الثلاث . (مخاطباً ماريا) : حسن ، لننتظر ونرَ !

ماريا : أنت حشرة يا باربى ، رجل مشلول الشارب ، حتى إنك تظل متبلداً هكذا ، بينما تتهم زوجتك بأنها . . . (تخفض صوتها ولا تنطق الكلمة) .

باربى : يا الله ، ليس الأمر مؤكداً !

ماريا : يا الله ، لقد قيل ذلك فى وجهك !

باربى : قسماً بالله العظيم ! لأقتلن الخورى لأريح نفسى !(بعد فترة) ماريا ، تعالى واجلسى إلى جوارى فوق هذا المقعد . لم أعد فى حاجة إلى هواء ، ولكنى فى حاجة إلى لهيب

متوهج . (يخاطب نفسه وقد انتحى جانباً) ربما كنت عبيطاً ، لكنى عبيط واع ، كما سنرى فيما بعد .

ماريا : لن أقترب منك بعد الآن ، فى خير أو فى شر ، اللهم إلا إذا أخذت مقصك الكبير وأحضرت لى لسان العمدة ولسان السكرتير . . .

باربى : سأحضر لك ألسنة السوء هذه . . .

ماريا : التى سبتنى .

باربى : (يكمل عبارتها بدوره) . . . وطاقية الخورى ، علاوة على ذلك .

ماريا : صحيح ؟

باربى : بكل تأكيد . (فترة صمت) ليتنا نتحدث الآن عن شىء آخر . فكفانى ما أعددته من جرائم . إن الفضاء والأراضى المترامية الأطراف تصلح جميعاً لتنفسى العميق (بعد فترة) أغلب الظن أن أستراليا ، هى جزيرة السيقان والريح ! . . فالكل يقفز والكل يفر هناك . والنساء طويلات . . . (يضغط على هذه الكلمة ويمط فيها) .

ماريا : ؟ . . .

باربى : لدرجة أن مجموعة من السيدات تبدو فى الغابة كمجموعة من الرؤوس فوق الأشجار . إنهن طويلات للغاية (يمط

فى الكلمة). أماالرجال فقصار القامة . ولهذا لاتسير الأمور . (فترة صمت) من الممكن أن أكون أنا ، سيدة أسترالية حقًّا.

ماريا : يا له من بلد غريب ! (تلقى من بعيد ، بنظرة على صورة السيد جالار) .

باربى : لقد رأيت نعش السيد جالار ، لم يكن طويلا ولا قصيراً ، خذى بالك ! كان معقولا للغاية . وعندما لا يكون المرء كبيراً أو صغيراً ، فإنه يصبح مواطناً أستراليًّا صالحاً طبقاً للوائح .

ماريا : لا شك أن قوامه كان معتدلا .

باربى : وقد أثبت الداعر ذلك ، (يغرق فى حلم ، بعد فترة) لكن فى النهاية ، كيف يحدث هذا ؟ !

ماريا : ماذا ؟

باربى : أتكلم لأروّح عن نفسى ، يا ماريا . (يعود إلى فكرته ويرفع صوته) كيف يحدث أن أناساً مثلى أو مثلك ، يا ماريا ، أو مثل الآخرين ، كل هؤلاء الذين تريهم فى بلفنتو أو فى الوديان ، يطأون الأرض بأحذية ثقيلة ، ويضربونها لكى يكسبوا قوتهم (بمرارة) وماذا غير الخبز والماء ! والملح ، كما لو كان حلوى! وما إن يرحلوا إلى مكان

آخر ، وإلى أستراليا بصفة خاصة ، حتى يحملوا ألقاباً شهيرة . . . ويصبحوا ظرفاء . . . متأنقين . . .

ماريا : (تحدق إلى زوجها بنظرة قاسية) .
؟ . . .

باربى : أوه ، لا أعنيك أنت يا ماريا . (ثم بصوت هادئ ، يستطرد قائلا وهو يدير رأسه) . . . وأثرياء ، لدرجة مذهلة . . . وتدعو للكرب . (يغير لهجته) فسرى لى هذا السر ، أنت يا من تحسنين التفكير .

ماريا : . . .

باربى : ماذا يحدث هناك إذن ؟ ما الذى يزيد هناك ؟

ماريا : هنا ، يوجد الله والمسيح اللذان يمنعان ارتكاب الحماقات ويعطيان كل فرد منا حاجته الضرورية .

باربى : الله إذن يسهر هنا وينام هناك ؟ أما الشيطان فيسك النقود فى أستراليا . (يهز كتفيه) ليس هذا هو كل ما فى الأمر ! (وهو يلقى بنظرة على صورة السيد جالار) لو كان يستطيع أن يتكلم !

ماريا : هذا هو الوقت المناسب حقًّا يا باربى لتقصى الأسرار والجرى وراء التفاهات والبحث فى طبيعة أستراليا بينما زوجتك . . .

باربى : (وهو يقاطعها مباغتاً) قلت لك إنى سأتكفل بأمر الخورى . هذا يكفى . دعينى أحلم ، يا ماريا ، بما هو أخطر من ذلك ! وأبحث ، بكل عظمتى ، فى تغير السيد جالار وتقدمه منذ أن ترك بلفنتو ، حافى القدمين ، نحيفاً كحبل الدوبار ، يجر ظله من خلفه . ساعدينى ، يا ماريا ، أنت يا من لست غبية . (بصوت له مغزاه) يا من لست غبية على الإطلاق !

ماريا : تريد ماذا ؟

باربى : أن أعرف كيف يصعد الناس السلم . وبأى الوسائل ينطلقون . من فقراء وصعاليك يصبحون فجأة ، مقتدرين وميسورين ، وممتلئين مثل القدر . . يسيل للذهب لعابهم كالكلاب المسعورة .

ماريا : بالعمل يا باربى .

باربى : من ذا الذى عمل أكثر منى ؟ وعرق أكثر منى ؟ . . . المسى يدىّ ، لا تزالان ملتهبتين . العمل ؟ دعينى أضحك يا ماريا .

ماريا : ربما كان الحظ .

باربى : أنت لا تعرفين ما تقولين . من ذا الذى أسعد حظًا منى ! (ينظر إلى ماريا) أيتها الزوجة التى لا تزال جميلة ،

وممتلئة . . . زوجتى . (يشير إلى بيتهما) وبيتنا الهادئ ، حيث أنام ملء جفونى ، وحيث أمد ذراعى وأريحهما . يا لها من ليلة معطرة بعطر صقلية . تمتلئ سماؤها بألف لغز تنتظر حلا . (بصوت جذل) وأنا لا أملك غير برادة الصفيح ! (فترة صمت) من ذا الذى أسعد حظاً من باربى ؟

ماريا : الحياة تختلف من شخص لآخر . . .

باربى : (يقاطعها ساخراً) . . . وكل منا ينال ما يستحقه . لا ، لا ، يا ماريا ، ليس هذا هو كل ما فى الأمر .

ماريا : ماذا إذن يا باربى ؟

باربى : (مخاطباً نفسه) يحك فى رأسى جعران من الذهب . . . ونحلة صغيرة . . . تشكنى كالدبوس . (يدخل رأسه بين كتفيه ويرفع يده إلى عنقه ، كما لو كان قد قرص فى هذا الموضع) . إنى أفهم كل شىء . . . وأرى الليلة كل شىء . لقد استنرت ! اقتربى يا ماريا ، سأكشف لك عن مصدر الثروات . . . وضخامتها . . . وسحرها و . . . كآبتها . (مشدوهاً ، متصلباً ينظر أمامه ويقول بصوت جهورى) إنها الريح !

ماريا : ؟ . . .

باربى : أجل الريح ! فكل شيء يبدأ بها . . . (يغير لهجته) يترك المرء بلفنتو وهو كقرد صغير (يلقى بنظرة على صورة السيد جالار) أليس كذلك يا سيد جالار ؟ يحمل فى جيبه ثلاث حبات من البطاطس ليقليها ، ولا يكاد يعرف العد ، يبحر على ظهر باخرة قديمة مطلية كما تطلى القدر ، وهو ملىء بالشعر ، تفوح منه رائحة الثوم البحرى . وما إن تضيع الأرض فى أشرطة البخار ، وتختفى أضواء الشاطئ الصغيرة الثابتة ، حتى تفض الريح فى الحال قبضه . . . وتطرد صوره الأليمة ومقالبه ومصائبه . وأفكاره . وإلا فما هو المال إذن ، إذا حاولنا أن نعرّفه ، إن لم يكن فى البداية (بازدراء) فكرة بسيطة . تجول بخاطر الإنسان ذات صباح ؟ ثم تأخذ طريقها . أجل ، فكل شيء يبدأ بالريح ! . . . ليست الريح التى هنا ، تلك الريح الخجول . المتدينة ، المهذبة ، التى تحمل الطائرات الورق وتطفىء شموع الكنيسة كإجراء اقتصادى . (وقد استنار ذهنه) إنما الريح الأخرى يا ماريا ! . . . الريح الأخرى ، بخيالها الخصب ، ونسورها وطيورها والسحرة الذين يصاحبونها ، أليس كذلك ، يا سيد جالار ؟ . . . (يتوقف ليسترد أنفاسه ثم يقول فجأة) ماريا ، يا ماريا ! . . . إن ريح

أستراليا تصفر ، هذه الليلة فى رأسى . . . (بصوت منخفض) وتلهمنى بأن أقول . . . (فترة صمت) إن أحد أبنائى هو ابن السيد جالار . . . وبأن أقول إن ابنى هو ابن الريح !

ماريا : إلى أى شىء تريد أن تصل بذلك وحق السماء . تكلم بوضوح .

باربى : إلى أن أقول إن الحظ لا يبتسم إلا مرة واحدة . . ولا يجب أن نبصق عليه . . . لو تفهمينى ، يا ماريا الطاهرة . . .

ماريا : ليس هذا ما كنت تقوله منذ قليل .

باربى : منذ قليل كنت أعلمك يا ماريا . وكنت أعلم نفسى أيضاً . كنت أعطى الله حقه ، كما كنت أعطيه للجنون . . وأحسب مقدار الأبيض والأسود فى قلب كل إنسان . . كنت أوسع دائرة البحث ، والآن أحصرها (بصوت طبيعى) لو كنت قد فهمتنى ، يا ماريا الطيبة . . .

ماريا : (تتراجع مأخوذة) .

. . .

باربى : (بصوت منخفض وهو يتقدم نحوها ببطء) قولى إن أحد أبنائى هو ابن السيد جالار . . . قولى ذلك حباً فى هذا الابن ، نفسه . . من أجلك أنت ، يا ماريا ، البريئة

الطاهرة ، ومن أجلى ، أنا الذى تضطرب ساقاه وهو يتحدث إليك .

ماريا : (تضرب رأسها بيديها) .

. . .

باربى : (يشير إلى ساحة القرية التى اكتست بضوء فى لون اللبن) انظرى إلى القمر . . . إنه دليل الفضة . . . خزانة العالم ، هو القمر الذى له فم من الفضة . . . إنه يقبل علينا هذه المرة يا ماريا ! وتختفين بين يديك ! حذار أن تكونى بلهاء ، يا ماريا ، لدرجة أن تثيرى مسألة الشرف الآن . . . وأنت تهزين ثوبك . من ناحيتى فإنى أؤمن بأن الثروة التى تملأ البئر هى أعمق من كل الضمائر الحية . وهكذا ! فإننا لا نحيا إلا مرة واحدة ، يا ماريا . فى سننا ، نحيا نصف مرة . . . يجب أن ننتهزها . الأب أورورى نفسه أدرك ذلك على الفور ، ونظر إلىّ ، عند دفن السيد جالار ، نظرة ذات مغزى . نعم كانت عينا الخورى تلمعان كالماس . كانتا تتوهجان وتتوهجان !... بدلا من أن تنطفئ فى نور السماء . لقد كان ولا شك على علم بأمر الحرج الأسطورى (مخاطباً نفسه وكأنه يفعل ذلك على الرغم منه) ماذا سيعطيه المسيح بعصاه فى الوقت

الحالى (فترة صمت) لكن لن نخلط بين الأشياء . (تقع عيناه على الماندولينا ، فيلتقطها) أشعر بخوف شديد من هذه الماندولينا . (مخاطباً نفسه) هل يصبح سكاراماللا منافساً لى ؟ (تدخل روزا ، يتبعها بيكالوجا . يجتازان أقصى المسرح فى طريق عودتهما إلى البيت)
وبيكالوجا ؟ هو الآخر .
(يتوقف بيكالوجا عند سماع اسمه ، لينصت. أما روزا التى كانت تتقدمه ، فتخرج) .
هو الذى يستطيع أن يفسد كل شىء . (مخاطباً نفسه) أليس كذلك (فترة صمت) يجب أن نحدد موقفنا هذه الليلة ، يا ماريا ، بل هذه اللحظة . اتبعينى ، فسنذهب معاً لنطرق باب العمدة . . .

ماريا : (تكشف عن وجهها الذى كانت تخفيه خجلا بين راحتيها) يا لك من زوج رهيب ! . . .

باربى : مهلا ، مهلا ، يا ماريا ، فمن الجائز أن يسمعك أحد .

ماريا : هل انتهيت من تحقير زوجتك ؟

باربى : اسكتى !

ماريا : باربى ، أيها المخادع واللص فى الوقت نفسه .

باربى : اسكتى ! قلت لك إنه من الجائز أن يسمعنا أحد .

ماريا : يا لك من قوّاد ! . . . يتخفى وراء الريح .

باربى : من الجائز أن أكون مغامراً أو ملاحاً ، يا ماريا ، لكن ليس ما تقولينه . فأنا رجل يحلم بما لم يستطع أن يكونه . (بدهاء لا يكاد يفطن إليه أحد) يا لك من سمكرى مسكين يا باربى ! (يجذب ماريا من ذراعيها ويهزها) هل تظنين أنى أشك فى أمرك ؟ . . . وأطلب بناء على هذا تعويضاً (مخاطباً نفسه وهو يدير رأسه) ضخماً ، إذا جازت تسميته بذلك . هل تظنين أنى اعتقدت ، للحظة واحدة ، بأن السيد جالار استطاع ، فيما مضى ، (يبحث عن كلماته) ماذا أقول . . . أن ينطرح فوقك ؟ أوه ، كلا ، يا ماريا ! إن الزئبق أقل طهارة منك ، وأن شعر بدنك لتفوح منه رائحة جلد الجدى . لماذا تبكين إذن (بحنان زائف) مثل هذه الرشاشة التى تمطر قطرات رفيعة والتى صنعتها من أجل البذور الحساسة . (فترة صمت) لماذا تنظرين إلىّ بهذا الحنق ؟ (وقد استنار فجأة) كل هذا عبارة عن قصة من الريح ! . . .

ماريا : وهذه النقود التى ستحصل عليها ؟ . . . وهذا الابن الذى تريد أن تنسبه للسيد جالار ؟ ابنك الذى أراك مستعداً لبيعه ! . . . والعار الذى سيغطينى ؟ . . . (تنظر إلى

الأمام ، وتقول بصوت ضعيف مؤسى) أين هى الريح ؟..

بيكالوجا : (لا يزال مختفياً خلف الأشجار ، يسمع كل شيء دون أن يراه أحد) .

. . .

بارلى : افهميني ، يا ماريا ، قبل أن ينفجر غضبى ، وأعدو حداداً مرعباً ، أنزع الأشجار وأدوس . . . براءتك الآثمة .

ماريا (فى همس) فى سبيل نقود من الفضة .

بارلى : (بصوت متوسل) القمر أيضاً من الفضة ، والماء الذى يطرب ، وورقة الحور . إن السحاب من الفضة . وضحكة الفتاة المليحة من الفضة . وشعر المسنين ، العقلاء ، من الفضة . كل شيء من الفضة ، يا ماريا ! كل شيء فضة ! وقلب الإنسان ، عندما يكون طيباً ، من الفضة . (فترة صمت) المؤلم فى الأمر كما ترين . هو هذا .

ماريا : (تخاطب نفسها ، بعد فترة صمت طويلة) . سيشيرون إلىّ بالأصبع .

بارلى : ستسجد بلفنتو بأسرها عند قدميك .

ماريا : وأنت يا بارلى ؟ هل فكرت فى نفسك ؟

بارلى : لم يحدث أن لوثت الوصية أحداً . ولم يحدث أن جرد الميت

أحداً من شرفه .

ماريا : والله ، يا باربى ؟ الله الذى ينظر إليك .

باربى : سأشرك الخورى . (بعد فترة . وهو يتوجه ناحية صورة السيد جالار) سيد جالار ، يا سيد جالار ، أنا الذى سينهى الليلة مغامرتك ويصبح ثرياً باتباع آثارك . (وهو لا يزال ينظر إلى الصورة ودون أن يستدير) أليس كذلك ، يا ماريا ؟

ماريا : . . .

باربى : (يستدير) أليس كذلك ؟

ماريا : (بعد فترة صمت ، تقول بهدوء) كلا . . . على الإطلاق! (يخرج بيكالوجا ، دون أن يراه أحد) .

باربى : (ينظر إلى زوجته بقسوة) .

. . .

ماريا : (بشفقة بالغة) هناك أمور لا يستطيع الإنسان أن يقدم عليها . تيقظ ، يا باربى . (تصيح) عد إلى رشدك ! (ثم بهدوء) كل هذا عبارة عن قصة من قصص الريح ، عندك حق . خلاص . لقد مرت الريح . (فترة صمت) إن نقودك ، إنما هى من الصفيح... لابد أن تسلم بذلك ،

باربى : وإذا ألقيت بنفسى عند قدميك . . . (يلقى بنفسه عند

قدمى ماريا) وضربت بقبضتى على صدرى كالطبل ...
إذا قلت : « ماريا ، يا ماريا ، تعالى لنجدتى ! . . . »
بينما الليل يزداد غربة عنه الآن ، وأنا كمن يكون فى غابة
خالية من البلابل ، مليئة بالذئاب . . . هل تستجيبين ،
يا ماريا ؟ . . . وتكونين الزوجة المطيعة ، المرنة كجذع
الشجرة الأملس ؟

ماريا : (تتجهم ولا تجيب) .

. . .

بارلى : لا تتأملى ، لا تفكرى ، يا ماريا ، بل احلمى . . . ففى الحلم ، كل شىء يبدو زائفاً وحقيقيًّا ، فى الوقت نفسه ... كل شىء يبدو أكثر بساطة . ارفعينى ولنذهب ، جنباً إلى جنب ، لزيارة لويجى فى داره الشهيرة . . . سوف أتكلم أنا . . وأنت تخفضين عينيك ، كما يحدث فى الأحلام . . . ولن يعرف أحد بأننا أثرياء . . . من لا شىء !

ماريا : ابق راكعاً ! . . . لا تتحرك ! . . . دعنى أنظر إليك وأنت تستجدينى . . . يا نحاس الجحيم ، الضخم ، السمين . . . لتحترق وتنصهر أكثر فأكثر ! (وقد فقدت كل سيطرة على نفسها ، تنادى) يا أهالى بلفنتو ،

أسرعوا ! تعالوا لتروا زوجى . . . وتسمعوا ما يطلب منى أن أفعله . . . وهو يركع !

بارنى : (ينهض ويتقدم نحوها مهدداً) .

. . .

ماريا : (تواصل صياحها) اتركوا فراشكم ! . . . (تريد أن تذهب لتطرق أبواب المنازل ، فيمنعها بارنى . تصيح بأعلى صوتها) اسرعوا ! . . .

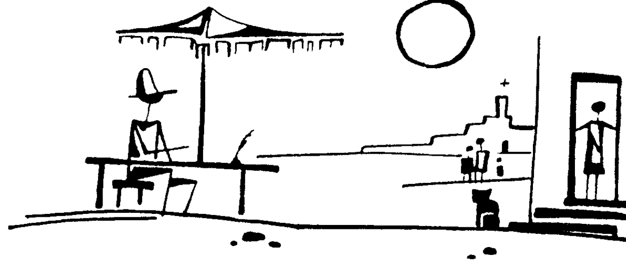
بارنى : (وهو يلهث ، زائغ البصر) اسكتى ! . . اسكتى ! . . أيتها البائسة !

ماريا : (تصيح) اصحوا ! . . أسرعوا ! . . . (بارنى الذى فقد رشده ، لم يعد يعرف كيف يمنعها . تقع عيناه على السكين المغروسة فى صورة السيد جالار . ينتزعها ويطعن ماريا . تسقط ماريا ثم تنهض . يتبعها بارنى ويطعنها مرة ثانية وثالثة . تنهار ماريا عند عتبة البيت . يتلفت بارنى حوله مذعوراً . تبدو الساحة وقد خيم عليها صمت مطبق) .

بارنى : (ينحنى على جسد ماريا ، ويردد بلعثمة) ماريا . . . أيتها النقية . . . ماريا ، أيتها الغبية . . حتى الموت .

يسدل الستار

اللوحة السادسة



نفس الديكور . فى وسط ساحة القرية ، يجلس السكرتير ، الذى لا يزال يجهل مأساة الليل ، إلى مائدة عليها ثلاثة سجلات . فى أحد أركان هذه المائدة سمرت قطعة طويلة من الخشب علقت فى أعلاها مظلة مفتوحة بميل لوقاية السكرتير من أشعة الشمس. بالقرب من المائدة ، يجلس قط على رجليه الخلفيتين وقد أسبل عينيه الناعستين .

المشهد الأول

السكرتير وبينيفيكو

السكرتير : هأنذا أزاول مهام عملي الجديدة ، كالخفير ! الوقت نهار لحسن الحظ . لن أجد نفسي في مأمن ، هنا ، أثناء الليل وأنا أنظر قلقاً إلى هذه الفروع . . . (فجأة) طخ ! طلقة من امرأة غادرة ثم أسقط . وأدفن نفسي بنفسي في السجلات . (يربت على رأس القط ثم يقول) : توتينو ، إلى العمل ! (يتصفح سجلا) سجل الوفيات... سفر الرؤيا المقدسة ! سيتحتم عليّ أن أنزل إلى المقابر ، وأنبش . . . في عظام الموتى ، باحثاً . . . باحثاً عن أثر للسيد جالار . . . من ناحية (يرفع أصبعه) الأسلاف . (يرفع السجل إلى أعلى) دون أن أقصد إهانة ذكرى أي شخص ، فإن عشرة آلاف من الموتى ، أخف من مؤخرة حي واحد ! (يضع الدفتر على المائدة) لنبدأ . (يقرأ) : برامبيلو ، ألدو ، بييترو ، ولد في (يتمتم بتاريخ) نونونو... توفي في (يتمتم بتاريخ آخر) نونونو... مهنته :

مزارع . (ينتقل إلى ميت آخر) جوندولى ، البرتوبييو ولد فى . . . لا يهم التاريخ ، وتوفى فى نونونو . . . مزارع (فترة صمت) نينى رافايللو ، أرتورو ، ولد فى . . . وتوفى فى . . . المهنة ، نجار . ها هو ذا واحد من أهل البصيرة . (فترة صمت ثم يقرأ) أنا ستازيسيمو، ريبيلى فرانشسكو فرمينو . كاسيو بريمو (يرفع أنفه عن السجل ويقول أمام هذا الهدير من الأسماء) لاأستطيع أن أتابعها (ثم يقرأ) : ولد فى . . . توفى فى . . . ليحترق التاريخ ! المهنة :ملاحظ (يتوقف مندهشاً . يرفع عينيه عن الدفتر) هيه ! (بعد فترة ، يقرأ) : سبتيمو ، ماركو ، باسكوالى المهنة : موسيقى . ولد فى (يقلد الجيتار) درن درن درن . توفى فى . . . درن درن درن (فترة صمت) يحيا الجيتار ! (يقرأ) : رومانو ، ميلانو . رودولفو ولد فى . . . لا يهم التاريخ ، توفى فى نونونو . . . المهنة : ملاحظ . (مندهشاً) ملاحظ آخر ! (بعد فترة) زيتو ، مارشللو ، مارشللينو ، ولد فى . . . نونونو ، توفى فى . . . التاريخ لا يهم . . . ملاحظ . شخص ثالث ! (يتوقف عن القراءة . ثم بعد لحظة تأمل) . لابد أنهم تنابلة ! . . .

الصوت : تست !

السكرتير : (ينتفض من الخوف ثم يبحث بعينيه) .

؟ . . .

الصوت : تست . . . تست . . .

السكرتير : (يبحث . لا يجد شيئاً ، فينظر ، على الرغم منه إلى القط) .

. . .

الصوت : تست . . . تست . . . هيه !

السكرتير : (ينهض) .

. . .

بينيفيكو : (يظهر . بصوت خفيض) أيها السكرتير ، هذا هو أنا .

السكرتير : (بحدة) ماذا جئت تفعل ؟ إن المنطقة محرمة .

بينيفيكو : أعرف . أعرف . لكن الصداقة أقوى .

السكرتير : ها ! ها ! ها ! . . . كأنه من الممكن أن تحظى بصداقة أحد . أنت الفضولى مثل حمالة البنطلون ، أو رأس الزرافة . إنك تنتشر فى كل مكان .

بينيفيكو : جئت أسأل عن أخبارك يا توتينو ، وأرى كيف تسير الأمور الآن . لم تعد فى خطر ، أليس كذلك ؟

السكرتير : (يهز كتفيه) .

. . .

بينيفيكو : والبنادق ؟ . . .

السكرتير : ؟ . . .

بينيفيكو : . . . التى كانت مصوبة نحوك ، فى ذلك اليوم . كنت مختبئاً وراء هذه الأشجار وقد رأيت كل شىء .

السكرتير : هل تعتقد أنى خفت ؟

بينيفيكو : لم أقل هذا . ولكنك تراجعت قليلا ، كان لسانك يتلعثم ، كان يتلعثم فى فمك . وكان حلقومك يتحرك هكذا (يرسم بإصبعه فى الهواء حركة الحلقوم وهو يطلع وينزل) حتى أصبت أنا بالدوار .

السكرتير : أنا ؟

بينيفيكو : نعم ، أنت . (فترة صمت) أنت فتى طيب يا توتينو . (ليتملقه) بل يمكن القول بأنك كنت فى حرب . هذا صحيح : ثلاث بنادق ، تعد فرقة . . . لقد كنت بمفردك فى مواجهة فرقة بأكملها . (يحدث صوتاً بفمه ليبين أهمية الأمر) برّرت .

السكرتير : طيب ، اذهب الآن (يبرز صفارة) وإلا صفرت .

بينيفيكو : وإذا . . . صفرت ؟

السكرتير : جاء الأب أوروري والعمدة على الفور . (يشير إلى شرفة

دار البلدية) إنهما هناك . . . ينتظران . أحدهما يصلى ، والآخر يرتدى قميصه .

بينيفيكو : أيها السكرتير ، إنى ضيفك المفروض عليك . لقد سلكت الطريق الوعرة حتى أصل إليك ، دون أن يرانى أحد . دعنى أتنفس قليلا قبل أن أعود . (فترة صمت) وماذا ينتظران ؟ . . .

السكرتير : (لا يجيب ويشير إلى مكان) استرح ، إذا شئت . لكن بجوار هذا القط .

بينيفيكو : (وهو يجلس على مقعد صغير) ليس مشيناً على الإطلاق (يلقى بنظرة خاطفة إلى القط) أن أكون بجوار . . قط من قبرص .

السكرتير : (يستدير وهو يسمع هذه الكلمة الأخيرة) .

؟ . . .

بينيفيكو : إن القطط ، أيها السكرتير ، تسمى بأسماء بلادها . (يتفحص القط من جديد) وهذا القط يبدو لى أنه من قبرص على وجه التحديد (بعد أن ينظر إلى المظلة) أحسنت بجلوسك تحت هذه المظلة البيضاء . إن اللون الأبيض هو أكثر الأشياء نضارة . (مخاطباً نفسه ، بعد فترة) أشعر بالقرب من هذه المظلة أنى أحيا من جديد .

السكرتير : ما دمت قد غافلتنى وأطلت جلستك ، فأخبرنى بما يفعله الآخرون . الجموع التى أبعدناها عن هذه الساحة بكل حذر فى تلك الليلة قبل الطل .

بينيفيكو : تعسكر أسفل التل .

السكرتير : ثم ماذا ؟

بينيفيكو : أوه ! البعض يلعب الورق ، والبعض الآخر يشرب الخمر ويغنى والجميع يشربون نخب السيد جالار تحية لذكراه وهناك من يشبعون نساءهم ضرباً لينشروا البهجة بين الجميع . وآخرون يتسلقون الأشجار ليشاهدوا بريسبان . (يضحك) ها ! ها ! ها ! . . . إنه حفل شعبى ، أو إذا أردت ، سفينة سيدنا نوح .

السكرتير : الجميع مسرورون ؟

بينيفيكو : نعم ، ولكن . . . على طريقة الحيوانات .

السكرتير : حسن ! لقد تم المهم : أخليت ساحة القرية من كل هؤلاء الناس .

بينيفيكو : حقًّا ، لقد نفذ أمر العمدة بالحرف الواحد . (وهو ينظر بقسوة إلى القط) . . . إلا بالنسبة لهذا القط القبرصى .

السكرتير : ونيكولو العجوز ؟

بينيفيكو : عندما يكون باله رائقاً ، الشىء الذى لا يحدث إلا فى

الصباح الباكر ، يعلن على الجميع ، أن سحابة من الذهب تخيم على بلفنتو وسوف تمطر بين لحظة وأخرى . وفى الظهيرة يحك أنفه فى شجرة لأنه لا يعرف عندئذ ماذا يفعل . وفى المساء . . . يطالب بفرشته التى نسى أن يحضرها وينتهى الأمر بأن يتقاسم فرشة سيتشيو . يجب ألاّ تستمر هذه الأمور .

السكرتير : (بعد فترة صمت) إن أخبارك لقصيرة ، أيها الحارس .

بينيفيكو : اسمع ، يا توتينو ، أنا ضيفك ! وليس هذا هو وقت التكتم .(يجول بعينيه فى الساحة الخالية. ثم مخاطباً نفسه) لا أثر للجنس البشرى !

السكرتير : إذن ، لا أحد يناقش تحت ، ولا أحد لديه فكرة ؟ « يشربون و يغنون » (يضحك ساخراً) ها ! ها ! ها !... لم يعد فى بلفنتو إذن قلب واحد ! ولا شعور ! ولا أساطير دينية ! . . . فيما مضى عندما كانت تضيع قطعة صغيرة من النقود فى هذه الساحة كان الجميع يروحون ويجيئون فى ثورة عارمة ، واليوم ، على الرغم من أن هذه العين تكاد تتدفق ذهباً ، لا أحد يشغل باله بشىء .

بينيفيكو : حقّاً ، حقّاً ، بأشياء كثيرة ، تريد أن تقول .

السكرتير : إيه ؟ . . تكلم !

بينيفيكو : إذا بدأت ، أيها السكرتير ، فلن أتوقف أبداً . ستصير هرماً فوق هذا المقعد ، ولا أكون قد قلت كل شيء ... وسيكون شبحاً ذلك الذى يستكمل لك الحديث . (ينظر بقسوة إلى القط ويضيف) : وهو جالس بجوار هذا القط القبرصى .

السكرتير : دع هذا الحيوان وشأنه ، ولا تخلع عليه أسماء جغرافية . تعال من هنا .

(يجعل بينيفيكو يغير المكان والمقعد) .

بينيفيكو : (بمجرد أن يجلس) إن الفراء ، فى الصيف ، مسألة خانقة ، أيها السكرتير . أشعر بأنى بعثت من جديد بعيداً عن هذا القط .

السكرتير : (منهكاً) أيها الحارس ، إنك تتملق كالبرقوق المزز . كفى ، اغرب عنى ! (يرفع قدمه كما لو كان سيركله) .

بينيفيكو : احفظ قدمك فى حذائك ! احترم سنى ، وإلا فاحترم علمى . خمسون عاماً وأنا حارس ليلى فى نابولى ، هل تعرف ماذا يعنى هذا ؟ . . . يعنى دورة كاملة على الأقل حول الأرض بما فيها من ملاحظات ومسارات ومعلومات ، وخبرات ! . . . بخلاف الفوقانيات – والتحتانيات . لا ، لكن من الجائز ! . . . سكرتير سمح ، يرفع قدمه علىّ ؟

فى حضور هذا القط القبرصى ، وسجلات القرية الرسمية المدوّن بها تاريخ تعميدى وتاريخ ميلادى . وتاريخ نزولى إلى القبر عما قريب ، ولكن بعد حياة طويلة عامرة . (فترة صمت) سأنصرف ، من أجل طريقتك الخاصة وأتركك فى عزلة ، كما يترك الرجال . . . فى أثيوبيا .

(يظهر فى شرفة دار البلدية ، الأب أوروری وهو يضع تحت إبطه الكتاب المقدس ، وكذلك السنيور روكو ، العمدة . يجد السكرتير الوقت بالضبط الذى يختفى فيه بينيفيكو تحت المائدة) .

العمدة : (من الشرفة) مع من تتحدث ، يا توتينو ؟

السكرتير : لا أحد تحت المائدة .

العمدة : لا أسألك عما إذا كان هناك أحد تحت المائدة ، وإنما أسألك مع من تتحدث ، يا بنى . (يلقى بنظرة سريعة على المائدة ، ثم يقول) : لا ألمح غير القط . فلندخل . (الأب أوروری والعمدة يتركان الشرفة) .

السكرتير : (وهو ينظر إلى المائدة التى رفعها بينيفيكو برأسه دون أن يدرى) وكأن المائدة تتنفس !

. . .

بينيفيكو : (يخرج من تحت المائدة) المراقبة (يشير إلى شرفة دار

البلدية) هناك ، رائعة !

السكرتير : لقد رأيت بنفسك .

بينيفيكو : اخفض صوتك إذن ، إذا أردت التحدث .

السكرتير : تقول ، إن القرية كلها لا تهتم بالحادث ؟ ثروة تنتظر فى خزينة دار البلدية ، أحد أهالى بلفنتو ، ولا أحد يهتم بها ؟ (فترة صمت . مخاطباً نفسه) هكذا تتجلى روح المدنية فى قطيع . يا لك من قرية ملعونة !

بينيفيكو : سأذهب أبعد من ذلك ، أيها السكرتير . إن الغالبية تعارض ! وتسخر من نقود السيد جالار بل تتهكم عليها . (فترة صمت) بسبب . . . (يقلد حركة الشخص الذى يبرم شارباً ضخماً) .

السكرتير : (يوصل) . . . الشوارب ؟

بينيفيكو : (يحدثه فى أذنه) .

. . .

السكرتير : (بصوت خفيض ، يكرر أولا بأول ما يهمس به بينيفيكو فى أذنه) ... التى تتعارض ... على ما يبدو ... مع القرون ! (بصوت مرتفع ، دون مراعاة لأى شىء) . هوه ! هوه ! هوه ! . . . ماذا يعنى هذا ؟ . . . لكن هذا القط القبرصى له شاربان !

بينيفيكو : (مؤيداً قوله) مثلا ! (بعد فترة . بصوت جهورى) ثم إن القرون الذهبية ، ليست مثل القرون التى يتصورونها !

السكرتير : نهايته ، ألم تؤثر فيهم قصة هذا الرجل القادم من بعيد ليرى ابنه ؟ بصرف النظر عن كل شيء . . .

بينيفيكو : إنهم يؤكدون العكس ، ويعلنون أنه مهما كانت الظروف فإن السادة باربى وبيكالوجا وسكاراململا لابد أنهم كانوا يراقبون زوجاتهم عندما كن نضرات .

السكرتير : (مترفقاً) .

. . .

بينيفيكو : ليسوا ظرفاء ، أيها السكرتير . (فترة صمت) أما أنت يا توتينو ، فلست من صقلية ، إنك نموذج عصرى . رجل أوربى .

السكرتير : حسن ! ستؤول أموال السيد جالار للملك . سيركب الملك قروناً ! من الذهب ، حتى تليق بمقامه . وفيما عدا ذلك ، ماذا يمثل التاج ، يا بينيفيكو ؟ سوى قرون . . مستديرة .

بينيفيكو : فيما بيننا ، هذا هو ما كان يردده صاحب البيت الذى كنت أحرسه فى نابولى . . . إنه رجل اشتراكى ، وكان

يضيف قائلا : « إن جمهورية فيها قوانين عادية للجميع ، هي جمهورية مثالية » .

السكرتير : (محذراً) دعنا من السياسة ، أيها الجد . فإن الوقت ليس مناسباً .

بينيفيكو : عندك حق . يجب ألاّ نحمل فى السلة قواقع أكثر من اللازم .

(يظهر الأب أوروورى فى الشرفة من جديد . يختفى بينيفيكو تحت المائدة) .

الأب أوروورى : إلى من تتحدث يا توتينو ، إذن ؟

السكرتير : (بطريقة حالمة) كنت أتلو صلاة ، يا أبتاه .

الأب أوروورى : عظيم . ولكن لا تندمج فيها . فالساعة ليست للفضيلة ، كما تعلم ، يا بنى .

(يترك الأب أوروورى الشرفة . يخرج بينيفيكو وهو يسير على أربع من تحت المائدة) .

بينيفيكو : سينتهى بى الحال فأصبح من ذوات الأربع . بعد طول جلوسى القرفصاء تحت هذه المائدة . لقد أدرك القط ذلك من فوره ، بعد أن نظر إلىّ مستغرباً الوضع . (بعد فترة) ماذا كان يريد الخورى ؟

السكرتير : أن يعرف أيضاً هو الآخر ، مع من أتحدث . إنهما

يتصوران ، فى علاهما ، هما الاثنان : الأب والعمدة أريد أن أقول : الأب أوروري وسنيور لويجى ، يتصوران أننى وأنا أفتح فمى فى كل مرة لابد أن أكون منهمكاً فى تدوين شهادة أحد هؤلاء السادة . . . المعتصم ببيته . (فترة صمت) من الأفضل أن نقرأ ما فى برج النمر . ما رأيك فى هذا ؟

بينيفيكو : ليس من الأفضل .

السكرتير : إن عزل السادة باربى وبيكالوجا وسكاراماللا عن باقى سكان القرية ، لحملهم على التفكير والتأمل . . . ثم على الاعتراف . . .

بينيفيكو : (وهو يقاطعه) . . . أمر بالغ الخطورة . إننا لا نحفر فى النفوس بلا ضرر . ولا نحبس المشاعر كالبخار فى القدر . كان يجب التصرف بطريقة أخرى . (يأتى بحركات كحركات مهندس الديكور الذى يخطط تصمياته) هذه الساحة كان لابد أن تزين ، أولاً ، بأعلام إيطالية وصقلية . . . وبالشرائط الملونة ! وتمتلىء بالناس الظرفاء ، المهذبين . وكان لابد من سماع التهانى والقبلات والتحيات وهى تنطلق . (بابتسامة) سنيورا . (بابتسامة أخرى) سنيور . (فجأة) وكان لابد من

التحدث بالإنجليزية . أي نعم ! احتراماً وتبجيلاً للسيد جالار . وفى النهاية ، يقدم السيد جالار إلى باربى وبيكالوجا وسكاراملا كقريب له تركة ، كان فيما مضى (يبحث عن الكلمة) . . . رقيقاً مع نسائهم ، وهو اليوم رقيق جداً مع أبنائهم . بدلاً من هذا . . . (يسكت عن الكلام ويتراجع بضع خطوات إلى الخلف ، ذلك أن الأب أوروری قد ظهر فى الشرفة وألقى بنظرة على الساحة ثم دخل مسرعاً . بعد فترة) هذا الخورى يذكرنى بمفك المسامير البريمة ، عندما يمسك بك لا يتركك أبداً .

السكرتير : إن الأب أوروری رجل خير وهو ضمير القرية . إنه يقدم مساعداته للمسئولين .

بينيفيكو : سينتهى بى الأمر إلى مواصلة الحديث وأنا تحت المائدة . (مخاطباً نفسه) لم نعد نعرف الوجه من القفا فى هذه الغابة .

(فترة صمت) .

السكرتير : اسمع ، يا بينيفيكو . (يتردد لحظة ، ثم يقول بصوت منخفض) لست متأكداً من أن السيد جالار هو حقاً من بلفنتو . فلم أجد حتى الآن اسم جالار واحد فى السجلات . يوجد فقط أسماء «جالاردينو» و« جالاردينى »

واسم « جالارد ينيتينو » وكان بحاراً يجوب البحار . لكن اسم جالار . . . فلا ظل له ولا أثر .

بينيفيكو : أوه ! خذ بالك ! فأسماء الشهرة تقصف ، فى الخارج ، كالأقلام . وأنا مثال لذلك . فاسمى بيبى بينيفيكو زامير يللى وفى نابولى كان أحد الأمريكيين الذين كانوا يترددون على أحد أصحاب البيوت التى كنت أحرسها ينادينى « زامب » أو « بيب » . كان يأكل نصف اسمى فى كل مرة ، ذلك الأبله !

السكرتير : صحيح ؟

بينيفيكو : إن الأسماء فى الخارج تصغر وتتضاءل كالفاكهة المعدة للتصدير . انظر إلى العنب الجاف . (مخاطباً نفسه) زامب أو بيب ، ذلك الأبله ! . . .

(يرى باب أحد المنازل التى تطل على الساحة وهو يفتح على حين فجأة ثم يظهر باربى ويتجمد فى مكانه) .

المشهد الثانى

نفس الأشخاص وباربى

السكرتير : (وهو يلمح باربى . ينادىء بقلق) الأب أوروري . . . سنيور لويجى . . .
(الأب أوروري والعمدة يظهران فى الشرفة) .

الأب أوروري: (مخاطباً العمدة) أسمع أحاديث . وألمح جمهوراً . فلننزل . (يرسم علامة الصليب ويتأهب للنزول) بارك الله الجميع . . .

بينيفيكو : ها هوذا الخورى الذى وصل فى أوتوبيس . (يقف بعيداً) .

الأب أوروري: (وهو يمرق إلى الساحة يتبعه العمدة) . باربى ! (مخاطباً نفسه) حمداً لله ! إن العزائم الصادقة تتجلى فى النهاية .

باربى : (لا يزال متجمداً عند عتبة داره ، وبحركة من يده ، يدعو الشخصيات جميعاً للدخول عنده) .

. . .

الأب أوروري: (مخاطباً العمدة) يدعونا للدخول عنده .

بينيفيكو : لا تذهب ، أيها الخورى الطيب . إنه يمسك بسكين في يده وشفتاه ترتعدان .

العمدة : (فجأة وفى الحال) أين ماريا ؟ . . . (يتقدم نحو باربى) .

باربى : (كشخص يسير أثناء النوم ، يتوجه ببطء شديد نحو منتصف الساحة ، يتوقف ويترك السكين التى كانت فى يده تسقط فوق المائدة) .

العمدة : أين ماريا ؟ . . . (يهزه) .

باربى : (يفيق) ماتت . . ماتت ! طعنتها . . . بسكين السيد جالار . . . الليلة . لقد لحقت فى الجحيم بالرجل الذى خانتنى معه . . . فى أمسية صيف حزينة . . . والبلابل تضع بيضها . . . إنها هى ! هى التى أخبرتنى ! (يشير) هنا . . . فوق طحلب هذه الغابة . . . ثم فى بيتى . (بعد فترة صمت) تعالوا . . . تعالوا ! . . . إنها مخضبة بدمائها فى الفراش . (مخاطباً نفسه) وقد وضعتُ ، بالرغم منى ، وردة بيضاء ، وردة نقاء ، فى شعر . . هذه العاهر .

الأب أوروري: باسم الآب . (لا يرسم العلامة . ويقول بصوت جهورى) لم يعد هناك ابن ! . . . ولا روح قدس ! . . . (بتأثر) أيتها الأرض المدنسة ! ... يا لك من أرض مدنسة ! ...

(هامساً) أين أنت ، يا وجه المسيح ، الرقيق ؟

(جميع الشخصيات ، فيما عدا باربى ، تقع فريسة لأشد حالات الانفعال ، يروحون ويجيئون ، فى كل اتجاه . بينيفيكو وهو يمر بالقرب من القط ، ينتهز الفرصة ليركله ركلة قوية بقدمه التى تأتى بالحيوان فى الهواء حتى يصل إلى الكواليس .

يسدل الستار

اللوحة السابعة



نفس الديكور . تدخل الصغيرة آنا . تتلفت حولها كأنما تخشى أن يكون قد تبعها أحد .

آنا : تركت بيتى
وكانت جدتى نائمة
كانت تنفخ بفمها خفيفاً
كأنما توقظ ناراً مشتعلة
وهنا دفعت الباب
. . .
أخذت طريق الغابة

وكان القمر عصفوراً طليقاً
والآبار تنزف من فوهاتها نزيفاً
فتملكني الخوف
وأصبحت فى نهاية المطاف
أكثر من فتاة صغيرة
نجرى معاً وفى نفس الوقت . . .

(آنا تتجه إلى أقصى المسرح . ترى على امتداد ساحة القرية دائماً ، مقبرة بلفنتو . تقف آنا أمام أحد الصلبان) .

هأنا ذى بقربك الآن
يا سيدى
ولا أخشى شيئاً .
فماذا يكون القبر
إن لم يكن بستاناً صغيراً
وحكاوى وحكايات !

. . .

يقولون إن ملكين يجيئان هنا أثناء الصيف
يقفان أحدهما فى مواجهة الآخر

وكأنهما شخص واحد ينظر فى مرآة كبيرة . . .
أما أنا فلا أرى الليلة ملائكة الصيف
لأن كل ما هو قريب منا
ربما كان بعيداً عنا .

. . .

ما إن جئت إلى بلفنتو
على حصان اختفى مثل الدخان
حتى اختلط الخبز الأسود بالخبز الأبيض
واختلطت الدموع بالآلام . . .
لأنك شديد الثراء
ولأنك بالغ المحبة

. . .

إنى راحلة وتاركة على قبرك
شالى الصغير
فالوقت صيف ولا حاجة إليه
لكنه صيف بالنسبة إليك
أنت يا من تنام عميقاً ؟ . . .
عميقاً أحبك يا سيدى .

(تغادر المقبرة التى يختفى أثرها فى الحال . وما إن تصل آنا إلى ساحة القرية ، حتى تنظر إلى الصورة لحظة ثم تخرج مهرولة) .

يسدل الستار

اللوحة الثامنة



نفس الديكور . بعض الفلاحين مجتمعون في ساحة القرية ، أمام بيت باربي . بينهم سكاراملا وبيكالوجا . وبينما يخالط سكاراملا العامة ، ينتحي بيكالوجا جانباً وهو يفكر . عند رفع الستار ، يطبق صمت رهيب على الشخصيات .

المشهد الأول

فلاحون ، سيتشيو ، بيكالوجا ، سكاراململا
السكرتير ، بينيفيكو ، الأب أورورى

فلاح عجوز : إن الحياة دائرة . . .
فلاح ثان : (مستفسراً)
؟ . . .
الفلاح العجوز : (يرسم بإصبعه) دائرة .
الفلاح الثانى : (مستغرباً وبحدة) ماذا تعنى ؟
الفلاح العجوز : يدور الناس حولها . . . ويبقون دائماً فى نفس المكان .
الفلاح الثانى : (ببلاهة) ماذا تعنى ؟
الفلاح العجوز : الذين فى المقدمة يصبحون فى المؤخرة . . . وهؤلاء الذين كانوا فى المؤخرة يصبحون فى المقدمة . . .
الفلاح الثانى : (وهو يقاطعه) ماذا تعنى ؟
الفلاح العجوز : لا أعنى شيئاً . ثم إن هذا هو ما كنت أسمعه دائماً .
فلاح ثالث : (مخاطباً الفلاح الثانى) وبعد ؟ . . . ألا توجد وسيلة للتحدث بطريقة مفهومة ؟ . . . (يقلد الفلاح الثانى) ماذا تعنى ؟ (ثم يفسر) السيد باربى الذى كان فى

المقدمة ، هو الآن فى المؤخرة . ولكنه سيصبح قريباً فى المقدمة ! (مخاطباً الحاضرين) لا يوجد فى باليرم قاض يرتدى جلد أرنب ، ليدين باربى .

فلاح عجوز جداً: أنا لا أحب الدماء ، هيه ؟ . . . إلا دماء الطماطم . الشرف ، هو الطماطم ، هذا أصح ! فى سنى ، يصبح من حقى أن أتصور ما أتصوره ، هيه ؟

الفلاح الثالث : من حقك مؤكداً ! فالشرف عصارة . ألم يعد معك ماء ، يا نيكولا ! . . . صفيت تماماً . . . أصبحت تينة جافة !

الفلاح العجوز جداً: ماذا يفعلون إذن بشعرى الأبيض ، فى هذه الغابة ، هيه ؟ (يتوجه ناحية مجموعة أخرى) .

فلاح رابع : لنر الرسول ؟ . (ينادى) هيه ! سيتشيو .

سيتشيو : (الذى كان منضماً إلى مجموعة أخرى ، يتقدم) . إنى قادم . لكنكم تتكلمون هنا كثيراً . لتتحلوا بشىء من الرزانة . فلم تدفن ماريا بعد .

الفلاح الرابع : هل كنت فى قسم شرطة كاستلنوتسى ، هذا الصباح ؟

سيتشيو : أجل . كنت فى المركز ، مرسل من قبل العمدة ، لأخطر الرقيب فيتشى .

الفلاح العجوز : ماذا قال الرقيب ؟

سيتشيو : ليس عندنا جنود لإحضار السنيور باربى ! . . . فليحضر إلينا ، وحده ، مثل شيخ الحارة .

الفلاح الثانى : (فجأة) ماذا تعنى ؟ . .

الفلاح الثالث : (مخاطباً الفلاح الثانى) لو أن ميزان الله كان على الأرض ، لما احتاج الأمر إلى قاض يدين السيد باربى .

الفلاح العجوز : فى باليرم ، يوجد ميزان الله !

سيتشيو : (يتحدث بلهجة ودية وقد نسى المهم) إن الرقيب الذى كان يقوم بزينة الصباح ، وهو سيئ الهندام ، قد خيب ظنى . (بإعجاب) لكنه ما إن ارتدى ثيابه ، حتى أصبح شيئاً آخر .

الفلاح الثانى : (مندفعاً) ماذا تعنى ؟ . . .

سيتشيو : (يسكته بيده) هيييه . (يسترسل) وبعد ذلك ، قمت بتسليم رسالة من الأب أوروري إلى سيادة السنيور أمبروزينو ، بمقر الأسقفية . (يتوقف) وكان يتناول وجبة خفيفة .

الفلاح العجوز : فى الصباح ؟

سيتشيو : نعم . (بإزاء تشكك الحاضرين ، يشرح) : كانت توجد بعض الشموع على المائدة . فقرأ سيادة السنيور رسالة خورى قريتنا ، توقف ، وقال وهو ينظر إلى السماء

من نافذته : « الأب أوروری ليس على مستوى المشاكل المالية ! »

الفلاح الرابع : ثم ؟

سيتشيو : انكب على طعامه .

كثير من الفلاحين : (فى وقت واحد وبحزم) ماذا تعنى ؟ . . .

(باب منزل باربى ينفرج) .

السكرتير : (وهو يمد رأسه) سكوت ، من فضلكم . فى الداخل تتلى صلاة الموتى .

(من يرتدى من الفلاحين قبعة يخلعها)

بيكالوجا : (يركع على الأرض بركبة واحدة) .

. . .

الفلاح العجوز جداً : (لم يسمع ولم يفهم شيئاً) ما هذا ؟ . . . (يتلفت حوله) لم أعد أسمع شيئاً ، وهذا يثبط عزيمتى .

الفلاح العجوز : (بعد فترة صمت ، يحرك شفتيه وهو منكس الرأس . يتمتم بصلاة يسمع منها فقط عبارة) : . . . أبانا الذى فى السموات . . .

الفلاح الرابع : (بعد فترة صمت ، يحرك شفتيه وهو منكس الرأس . يسمع فقط هذه الكلمات) . . . باركنا . . . باركنا . . . يا يسوع . . .

سيتشيو : (منكس الرأس) . . . خبز يومنا المعتاد . . .

فلاح خامس : (منكس الرأس) . . . ماريا . . . مارى . . . بوركت .

الفلاح الرابع : (منكس الرأس) . . . وأبواب الجحيم . . .

الفلاح الثانى : (يتوقف عن الصلاة ، ينظر ناحية الفلاح الرابع ويسأله وهو منكس الرأس) : . . . ماذا تعنى ؟ . . .

سيتشيو : (منكس الرأس) . . . ملائكة السماء . . . ملائكة السماء . . . جنات النعيم . . . سنابل . . .

الفلاح الخامس : . . . ليحل ملكوتك . . .

الفلاح الرابع : . . . صليب الخشب . . . وصليب الحجر . . .

(يفتح باب منزل باربى على سعته . يظهر بينيفيكو ممسكاً بمبخرة فى يده ، يتبعه الأب أوروري . بينيفيكو وقد عبر وجهه عن التأثر يضع ، تمشياً مع الموقف ، شريطاً من الحرير الأسود حول ذراعه اليسرى . يقطع الفلاحون صلواتهم . وينتصب بيكالوجا واقفاً) .

الأب أوروري : (فى حيرة) أصدقائى الأعزاء . . . (فترة صمت) . حتى لا أقول : أبنائى التعساء . . . أبنائى التعساء (فترة صمت) حتى لا أقول : كم أنا بائس !

(يخرج بخطى مسرعة ، يتبعه بينيفيكو) .

الفلاح الثالث : (يصيح بقصد أن يسمعه الأب أوروري الذى خرج

لتوه) . أما أنا ، فإنى أعلن أمام الخورى وفى وجهه : أن بلفنتو بعد ألف عام ستظل هى قرية الشرف بفضل باربى !

الفلاح العجوز : وأما الآن ، فحفل جنائزي ، ونجوم خابية . . . وتابوت محلى بالقصب .

الفلاح الثالث : وبعد . . . وبعد . . . (وهو يشير بفطنة إلى كل من سكارامللا وبيكالوجا) . اثنان من المواطنين يتنفسان الصعداء . . . مع هذه الملاحظة الأخيرة .

الفلاح الثانى : ماذا تعنى ؟ . . .

الفلاح العجوز : سأسهر الليلة على ماريا ، وسآخذها من يدها لأقودها إلى الله بسلم قديم جداً . (وهو ينظر فى عينى الفلاح الثانى) ماذا تعنى !

سيتشيو : أرى فى كل مكان ماريا ، المحتضرة ، تتحلى بجناحين ! . . .

الفلاح العجوز : ورأيت كذلك الرقيب فيشى فى سروال الصباح ! (مخاطباً الآخرين) يجب ألا نصدق تصوره . (فترة صمت) ومع ذلك . . .

الفلاح الثانى : (يندفع متسائلاً) . ؟ . . .

الفلاح العجوز : ومع ذلك (يشير إلى منزل باربى) فهذه الميتة ، هناك . .

والسيد باربى (يرفع إصبعه بالتدريج) المحترم ، المحترم جداً . . . الذى سيلقون به فى السجن . . . وهذه الثروة فى حقيبة . . . والسيد جالار الذى لم يره أحد إلا فى الصورة . . . (يرتبك) اعترفوا . . . مع ذلك . . . (يلخص قوله ، فجأة) فإن كل هذا وكل ذاك ، ما هو إلا قصة اخترعها الشيطان ! والخوري ، فضلاً عن ذلك ، يصطاد الكل .

الفلاح الرابع : أهو بؤس ذلك الذى يحل بنا ، أيها الناس الطيبون ؟

فلاح سادس: وهل صحيح أيضاً (يشير ، من بعيد ، إلى الصورة) . أنه كان يملك فيضاً من المال ؟

بينيفيكو : (يدخل مسرعاً والمبخرة فى يده ، يستطرد) : لقد أصيب الأب أوروري ، منذ قليل . . . بصدمة عصبية ، بسبب هذه النقود . . . فبعد أن وضعها كاملة فى كيس كبير ، ختمه ليبعث به إلى المسئولين ، إنهار فوقه كالطفل الصغير . إنه لشيء مؤلم ، وحق المسيح ! (مغيراً لهجته) هل من أحد يأتى لمعاونتى فى تهدئته ؟ إن هذه المبخرة ، كما ترون جيداً ، تحول دون العناق و « الطبطبة » . ليس لى إلا يد واحدة . (يحرك المبخرة بهزات خفيفة) وعلىّ أن أبخر .

سكاراملا : من الذى ألحق بخدمة الخورى . . . بالع المفاتيح هذا ؟

بينيفيكو : حسن تصرفى! . . .خمسون عاماً فى نابولى ، حارساً ليلياً ، يا سيدى ، الشيء الذى يفيد أكثر من كل المعاهد العلمية فى حسن التصرف. (يتخذ من الحاضرين شهوداً) لا ، لا ، بل أحياناً ! (فترة صمت) سيتشيو ، هل تعاوننى فى إعادة الأب أورورى إلى حالته الطبيعية ؟

سيتشيو : لا أحب الذين يحبون المال . إنى أفضل العسكريين . فلقد تلقى الرقيب فيشى هذه الأنباء بتأثر بالغ حتى إنه هب واقفاً عندما سمع بأمر النقود .

الفلاح العجوز : (مخاطباً بينيفيكو) إنى أتبعك (مخاطباً الحاضرين) إنى ذاهب لأرجّ الخورى كالحقنة . وإذا احتاج الأمر ، فسأضيف إلى ذلك صفعة أو صفعتين . . . (يمثل الصفعات) لإعادة تنظيم دورته الدموية . . . بعد إذنكم. (مستعملاً تعبير بينيفيكو) . لا ، لا ، بل أحياناً ! (يخرج . يتبعه بينيفيكو) .

المشهد الثانى

نفس الأشخاص والعمدة

(السكرتير والعمدة يخرجان من منزل باربى) .

السكرتير : (على عتبة الباب ، يقول مخاطباً العمدة) ها هوذا المحضر . كل شيء مدوّن فيه : الوقائع والأقوال . لا يبقى لك إلا التوقيع .

العمدة : على ألا يمس شيء فى البيت ، انتظاراً للتحقيق . (فترة صمت) اللهم إلا بعض الورود على جثة المتوفاة ، فقط لا غير .

السكرتير : حاضر .

العمدة : (يشير إلى صورة السيد جالار) ولتترك هذه الصورة فى مكانها ، شاهداً على المأساة .. (بحركة مبهمة) إذا كان لا بد .

السكرتير : حاضر .

العمدة : ثم قل لباربى أن يسرع ، ويذهب ليسلم نفسه بنفسه إلى مركز كاستلنوتى ، قبل أن يصل رجال الشرطة . هذا من الأفضل له .

السكرتير : حاضر ، حاضر ، فهمت .

العمدة : (بضيق) طيب . سأذهب لأستريح .

السكرتير : (يدخل فى منزل باربى الذى لا يزال بابه مفتوحاً) .

العمدة : (وهو يمر أمام الفلاحين ، يكاد يتوقف) . هكذا ينتهى كل شيء . . وهكذا دائماً ، فى هذا البلد الهالك . تتطور الأمور بسرعة ، وبسرعة تتعقد (فترة صمت ، مخاطباً نفسه) إلى الوداع إلى الوداع ، يا بلفنتو الحلوة ... بلفنتو المرحة ! راح ، راح كل هذا . لن يأتى مصورو باليرم إلى هنا ، بعد الآن . . . وربما لن تأتى العصافير كذلك .

الفلاح الثالث : (يقاطعه بحدة) إن بلفنتو بعد ألف عام ستظل هى قرية الشرف بفضل باربى !

العمدة : طيب ، لتقل له هذا فى الحال ، عند لحظة الوداع . (بطريقة جافة) . وليس لى أنا . (يخرج) .

المشهد الثالث

نفس الأشخاص بالإضافة إلى باربي

(باربي يخرج من بيته ويتجمد لحظة عند عتبته . يضع قبعته المستديرة على رأسه ويمسك بيده حقيبة صغيرة ، يبدو بصره زائغاً وقد شحبت ملامحه تماماً) .

الفلاح الثالث : (يرتمي على باربي ويضمه بين ذراعيه ، لا يستجيب باربي لاندفاعه ويتقدم كالسائر أثناء النوم) .

. . .

الفلاح العجوز : (وهو يتجه نحو باربي يلمس ملابسه) قديس ! . . . قديس . . . ملاك . . . ملاك ! باربي الملاك .

الفلاح الثالث : شريف . . . شريف جداً . . . برغم السواد والدماء .

الفلاح العجوز : هات هذه الحقيبة (إلى الآخرين) سنصحبه جميعاً إلى كاستلنوتي .

الفلاح العجوز جداً : من الأفضل أن يتقدم بمفرده إلى مركز الشرطة . هذا أفضل . . . تسليم بمحض الاختيار ودليل على حسن النية .

الفلاح الثالث : ما من قاض سيمس شعرة من رأسك ! ألف عار إذا كانت العدالة توافق على المعاشرة غير الشريفة ! . . .

الفلاح الثانى : (مؤيداً) وأطفال ليسوا أبناءك . . . فى الواقع .. (مخاطباً نفسه) ماذا تعنى !

باربى : (يتقدم وهو يلهث) هواء !

الفلاح العجوز : هواء ! (يبحث ، ثم) : هاتوا له هواء . (يجلسون باربى ، يخلع عنه الفلاح الثالث قبعته ويهوى له بها) .

الفلاح الثالث : تنفس ، تنفس يا باربى الشجاع (فجأة وبعظمة) كولونيل باربى بالشجاعة !

الفلاح الرابع : (يخرج من جيبه ورقة مالية) خذ هذه الليرات . . . ربما احتجت إليها فى السجن .

باربى : (مخاطباً نفسه كتمثال آلى) . ليحترق المال .

الفلاح الثالث : (مصعوقاً لتصرف الفلاح الرابع) يا للعجب !

الفلاح الرابع : صحيح . معذرة ، معذرة . يا باربى الملاك .
(بيكالوجا . على حدة . لا يحول عينيه عن باربى) .

الفلاح العجوز : اذهب ، اذهب ، يا صديقى باربى ! (ينظر ناحية منزل باربى) لقد بردت الميتة . ويجب أن تذهب. فجنود الشرطة فى طريقهم إلينا الآن . قادمون لملاقاتك . فاتخذ طريق الغابة . وستبلغ كاستلنوتى فى منتصف الليل .

الفلاح الرابع : أجل ، سترحل من بلفنتو ، رجلاً صالحاً .

الفلاح العجوز : معذباً تائهاً من أجل الشرف ! ولسوف تعد خطواتك على

الطريق نجوم السماء جميعاً . (بعد فترة) حان الوقت لنقول لك وداعاً .

(يصطف الفلاحون صفاً واحداً ويتقدمون، كل بدوره ، ليشدوا على يد باربى الذى يجلس ، وقبعته فوق رأسه . وحقيبته عند قدميه) .

الفلاح الثالث : (يشد فى صمت على يد باربى) .

. . . (يخرج) .

الفلاح الرابع : (يشد على يد باربى) .

. . . (يخرج)

الفلاح العجوز : (يشد على يد باربى)

. . .

باربى : (بينما يشد الفلاح العجوز على يده يحدث نفسه كتمثال آلى) ليحترق المال .

الفلاح الثانى : (يشد على يد باربى) .

. . . (يخرج)

الفلاح العجوزجداً: (يشد على يد باربى) .

. . . (يخرج)

سيتشيو : (يشد على يد باربى) .

. . . (سيتشيو يخرج) .

باربى : (يكرر لنفسه كلازمة موسيقية) ليحترق المال .

(باربى ، وسكاراملا وبيكالوجا ، الذى راقب المشهد الأخير من بعيد ، وحدهم على المسرح) .

سكاراملا : ها نحن أولاء مجتمعون من جديد . . . مثل ثلاث من كرات البلياردو ، واحدة منها حمراء ، كما تعلمان . (فترة صمت) من ذا الذى دفعنا إذن . . . وأصابنا . . . وشتتنا ، ثم جمعنا مرة أخرى ؟ . . . (بعد فترة) آه ، مصير الإنسان واحد لا يتغير ، ما دام لا يوجد أمامه غير الميلاد والموت . و بين الميلاد والموت ، يحسب كل شيء ! . . بينما لا ينبغى أن يحسب شيء (مغيراً لهجته ، يخاطب باربى مباشرة) سوف يتحدث الناس عنك فى الأمسيات وكأنهم يتحدثون عن رجل دافع عن مائه وخبزه . لأنه ماذا تكون المرأة إن لم تكن ما نأكله ونشربه فى المنزل ، وما يريحنا . أنت على حق فيما فعلت ، أيها الفلاح الأصيل ! يا شوارب صقلية جميعاً ! ... أيها السمكرى .

باربى : (مذهولا ، يتمتم) ليحترق المال .

سكاراملا : (يضع يده فوق كتف باربى) والآن ، يجب أن تذهب ، لقد أزف الوقت . وداعاً ! . . . هناك رجال يرتدون

السواد (باحتقار) ويكتبون رسائل، ينتظرونك ليلطخوا سمعتك باسم القانون .

باربى : (ينهض ، ويتقدم كتمثال آلى لا يدرى إلى أين) .

. . .

سكاراملا : (يمسكه من ذراعه ويحدد له طريقاً) إنه من هنا ، طريق الغابة . (بينما باربى يبتعد) أيها الملاك ،أيها الملاك ! . . أيها الملاك باربى .

(يهبط الليل شيئاً فشيئاً . سكاراملا وبيكالوجا ، وهما واقفان ، يبدوان كأنهما شبحان . تمر فلاحتان وعلى رأس كل منهما وشاح . وبيدها شمعة مضيئة . تدخلان منزل باربى . سكاراملا وبيكالوجا يراقبانهما فى صمت) .

سكاراملا : (بعد صمت طويل) يجب ولا شك أن نؤدى للموتى التكريم الذى يستحقونه ، ولكن يجب أيضاً أن نعترف بما علينا نحو الأحياء (ينظر فى عينى بيكالوجا) قل ، لماذا لم تشد على يد باربى ؟

بيكالوجا : (لا يجيب) .

. . .

سكاراملا : لماذا لم تواسه وتشد على يده بيدك الشريفة ؟ . . . مثلنا جميعاً .

بيكالوجا : . . . .

سكاراملا : هل تستطيع أن تلومه على ما كان من الممكن أن تفعله أنت ، أو أفعله أنا ، أو أن الشرف . . . والشيطان أراد ذلك ؟ . . . (بعد صمت ، بلهجة عتاب) بيكالوجا أيها العادل !

(سكاراملا يخرج بخطى بطيئة ويائسة . بيكالوجا يجلس فوق جذع شجرة ، تمرق بعض الفلاحات إلى بيت باربى للمشاركة فى ليلة العزاء ، وقد أمسكن بشموع فى أيديهن ، الوقت الآن ليل حالك) .

فلاحة عجوز : (تخرج من بيت باربى ، وهى تنتحب بصوت ضعيف) . . .

فلاحة : (تدخل بيت باربى ، وهى تتمتم بالصلاة) بارك . . بارك . . يا يسوع . . .

(من منزل باربى الذى لا يزال بابه مفتوحاً ، تتصاعد ترديدات صلوات ، مصحوبة بنحيب ضعيف) .

صوت : (وهو عبارة عن تفكير بيكالوجا ، يهمس كأنه صدى) بيكالوجا العادل . . . بيكالوجا العادل . . . العادل . . . العادل . . .

بيكالوجا : (يضع يده على جبهته) .

. . .

(تسمع الصلوات الصادرة من منزل باربى) .

صوت آخر : (وهو عبارة عن تفكير بيكالوجا ، يهمس كأنه صدى) إن بلفنتو . . . بعد ألف عام . . . ستظل هى قرية الشرف . . . الشرف . . . الشرف بفضل باربى .

(تسمع صلوات جماعية وهى تتلى داخل منزل باربى)

الصوت : بيكالوجا العادل . . . بيكالوجا العادل . . .

(بيكالوجا ينهض على حين فجأة ، كأنه قد اتخذ قراراً لتوه ، يخرج ويعود فى الحال حاملا بندقيته) .

الصوت : العادل . . . العادل . . .

بيكالوجا : (مخاطباً نفسه) طريق الغابة . . . سألحق بباربى . . . (فترة صمت) وبعد ساعة ، ستصبح بلفنتو هى قرية الشرف ! (يحشو بندقيته بالرصاص ثم يردد) : بيكالوجا العادل ! . . . (ينظر برهة إلى نافذة منزل باربى الضعيفة الإضاءة ، ويتمتم قبل أن يخرج) ماريا. . . يا ماريا ... (بخطوات ثابتة ، يتوغل بين الأشجار) .

يسدل الستار

اللوحة التاسعة



نفس الديكور ، ريح عاتية تهب على ساحة القرية . عند رفع الستار يكون المسرح مظلماً . يسمع من بعيد صوت عربة تسير . بعد لحظة ، تظهر عربة من ذات الأربع عجـلات بمصابيحها المتواترة . تتوقف تحت شجرة فى أقصى المسرح . وعندئذ يضاء المسرح . لم تعد صورة السيد جالار على الشجرة » .

المشهد الأول

الحوذى ومهاجر جديد

الحوذى : (وهو يستدير فوق مقعده) لقد وصلنا يا سيدى . يمكنك أن تنزل وتشاهد المكان ، ولكنى أنصحك بأن تمسك قبعتك جيداً ، فالريح تهب عاتية ، بطريقة يندر حدوثها فى المنطقة التى تتجمع فيها النجوم ، ليلا ، مكونة مجموعة من الأبراج السماوية . وليس هذا كلام فى الهواء (يتخذ من حصانه شاهداً) هيه ، كوكو ؟ . . . (المهاجر ينزل من العربة ، إنه رجل قوى المنكبين ، ذو لحية مربعة . يبدو مبتهجاً وحازماً) .

المهاجر الجديد : تركت قبعتى ، فى العربة (يتقدم بضع خطوات ، ثم يقول بلهجة آمرة) : أطفئ هذه المصابيح ، أريد جوًّا حزيناً .

الحوذى : (يفتح نوافذ العربة ، فتطفئ الريح الشموع) مع الظلام ، والريح . . . وشعرك الذى لعب به الريح ، سوف تجد الجو المطلوب (بعد فترة) إننى فى انتظارك يا سيدى . (يتقدم المهاجر بضع خطوات ويبدأ فى التطلع

حوله . فى هذه اللحظة تنبح بعض الكلاب . يعود المهاجر مسرعاً إلى العربة التى كان بابها لا يزال مفتوحاً)

الحوذى : لا تخش شيئاً . إن الكلاب فى صقلية تغنى . (بعد فترة ، وقد رأى أن المهاجر لم يخرج) ثم إنها كلاب قريتك ، يا سيدى . انزل إذن ! أؤكد لك أنها تغنى .

المهاجر الجديد : (ينزل من العربة ، يتقدم بضع خطوات ويدندن ، خلال فترة قصيرة ، بلحن حزين من ألحان الأوبرا الشهيرة ، وصوت جميل ورخيم للغاية) .

. . .

الحوذى : (متأثراً) ! آه ما أجمل هذا . هذا شىء مدهش ، يا سيدى !
(الكلاب تنبح من جديد) .

المهاجر الجديد: لن تدعى بعد الآن أنها تغنى ، أيها الحوذى . إن الغناء مهنتى .

الحوذى : بالتأكيد ! فما سمعته منك شىء رائع (بإعجاب ودهشة) اعتقدت أنك أسطوانة (الكلاب تنبح . بعد فترة) وعلى كل فهى كلاب قريتك ، تقدم نحوها ، يا سيدى .

المهاجر الجديد: (بلهجة آمرة) أحضر لى قبعتى من العربة .

(عندما يعود الحوذى ، يجد المهاجر قد وضع منديلا فوق عينيه ، وأخذ يبكى فى هدوء) .

الحوذى : (من بعيد) منذ متى هجرت صقلية ؟ . . .

المهاجر الجديد: (يبكى فى هدوء) .

الحوذى : (بعد فترة) لماذا ذهبت بعيداً كل هذا البعد . . . حتى تعود من جديد !

المهاجر الجديد: (مستمراً فى البكاء) .

. . .

الحوذى : (بعد فترة يقول بصوت بالغ التأثر) من ذا الذى أرغمك على السير فوق الماء كالمسيح . . . حتى تبكى الآن . (يتخذ من حصانه شاهداً) هيه ، كوكو ؟ . . .

المهاجر الجديد: (ينتفض ويقول بلهجة آمرة) أعد قبعتى إلى العربة أيها الحوذى ! (بينما ينفذ الحوذى الأمر ، يجفف المهاجر عينيه ويضرب يديه الواحدة فى الأخرى كما لو كان يريد أن ينفض عنهما التراب ، ثم يقول بصوت واضح ، وهو يتلفت حوله) فلنشاهد كل هذا عن قرب .

الحوذى : يجب أن تسرع يا سيدى ، فالمحطة بعيدة (مبتسماً) حصانى ليس سيارة (وهو يضع إصبعاً فوق جبهته) إنه يفكر ، يا سيدى .

المهاجرالجديد : (يسير وسط الساحة ، ثم ينحنى ويقلد حركة طفل يلعب البلى) .

الحوذى : (بصوت مؤس إلى حصانه) انظر ، إنه يلعب البلى ... لقد عاد طفلا من جديد ... إن الأشجار العجوزة تتعرف عليه ... فقد رأته فيما مضى .

المهاجرالجديد: (وهو ينصب قامته ، بصوت آمر ، ناه) . إنك تتحدث كثيراً إلى حصانك .

الحوذى : دائماً ، يا سيدى . إنه صديق ورفيق .. فإذا حدث واختفى أحدنا ، فإننى أتساءل عن الذى سيقل الصقليين المحترمين فى عربة إلى قراهم ... كما رحلوا ...

المهاجرالجديد: لقد هجرت قريتى سيراً على الأقدام ، أيها الحوذى .

الحوذى : سيراً على الأقدام ، يا سيدى ؟ لقد كانت العربات موجودة فى ذلك العهد . . (مخاطباً حصانه) هيه .. كوكو ؟ ...

المهاجرالجديد: ولم يكن معى من رصيد على الإطلاق غير منديل أحمر يحتوى على خبز أسود ... والصوت الذى سمعته ، (يتقدم ويشير) لقد رحلت عن هذا ... (يبحث بعينيه) لا أجد الآن بيتى ...

الحوذى : إن الريح تشتت الحجارة والندى (فترة) والبيوت تذوى

أيضاً ، يا سيدى . . . عندما تكون فى بستان (مخاطباً حصانه) هيه ، كوكو ؟

المهاجرالجديد: (مخاطباً نفسه ، بصوت منخفض) ما أغرب هذا ، ما أغرب هذا ، (دون أن يدرى) هيه ، كوكو ؟ (مستدركاً . وبصوت ملىء بالأمر) هيه أيها الحوذى ؟

الحوذى : ماذا يا سيدى ؟

المهاجرالجديد: (متجهاً نحو الحوذى) ما أغرب هذا ! إننى لا أتعرف على الأماكن مطلقاً ، على الرغم من أنها كانت منقوشة فى ذاكرتى (يتقدم بضع خطوات ، ويشير بإصبعه) كانت توجد هنا عين ماء . . .

الحوذى : (يشير إلى مكان آخر) ها هى ذى هناك ، يا سيدى .

المهاجرالجديد: وهنا ، كانت تمتد بعض الأدغال حيث كنت أختبئ .

الحوذى : لقد قصت يا سيدى . . قصت كما يقص الشعر .

المهاجرالجديد: وها هنا كانت تقوم بعض البيوت المظلمة مثل علب السجائر . هكذا كنت أراها ، فى مخيلتى على الأقل .

الحوذى : حسن ، لقد دخنوا البيوت والسجائر . وهذا يحدث ، يا سيدى .

المهاجرالجديد : (يتلفت حوله) .

. . .

الحوذى : إيه ، دنيا ! يمكنك أن تنظر . . . كل شيء يتغير ، كل شيء تغير ! ومع ذلك ، لا تثق بالمشاهد ولا بمظاهرها . فلا شيء يشبه الجليد أكثر من القطن ، ومع ذلك ! ...

المهاجر الجديد: (يسير وينظر) . . .

الحوذى : الوقت متأخر ، يا سيدى ، إذا كنا سنعود ؟ .... لقد رأيت أجمل قرية ، وإنى أهنئك على أنها قريتك .

المهاجر الجديد: (لا ينصت ويبدو فريسة لما تثيره الذكريات من أحزان) .

. . .

الحوذى : لا يمنع أن المكان ساحر وحزين (يأتى بحركة من يضغط شيئاً بين يديه ويضيف) ويمكن أن نقول بالإضافة إلى ذلك ، إننى مستعد لأن أقسم على أن القديس « چورچ » كان يتنزه هنا أثناء ليله وأحلامه ، بعد أن يكون قد أودع حصانه الحظيرة . (مخاطباً حصانه) هيه ، كوكو ؟

المهاجر الجديد: (فجأة) وبرج الأجراس ؟ أين هو برج الأجراس ؟

الحوذى : (يشير) ها هو ذا ، يا سيدى .

المهاجر الجديد: إنه يسير إذن . . لقد سار البرج ! فقد كان فى هذه الناحية من ساحة القرية .

الحوذى : بالطبع يا سيدى . . . فكل شيء يسير مع التطور .

المهاجر الجديد: (متجهاً نحو الحوذى ، يقول بصوت قاس) أين نحن ، هنا ؟ . . .

الحوذى : فى قريتك بالطبع ، يا سيدى .

المهاجر الجديد: هذه ليست قريتى ! لقد طلبت منك أن توصلنى إلى « بلكريدى » فأين نحن ، أيها الحوذى ؟ . . .

الحوذى : (لا يجيب ، ويبدو مرتبكاً) .

. . .

المهاجر الجديد: (ينظر إلى الحوذى ، وحينما لا يحصل منه على جواب يقول) سأعرف ذلك . (يتوجه ناحية أول منزل ويطرق الباب بقبضته . الكلاب تنبح نباحاً قويًّا) .

الحوذى : عد سريعاً ، يا سيدى . . . فالكلاب فى صقلية تعض . . . كما أنى سأعترف لك بكل شىء . . .

المهاجر الجديد: (يعود ببطء نحو الحوذى) .

. . .

الحوذى : . . . وسنرى إذا كنت فناناً حقًّا ! . . . (بعد فترة) هذه ليست بلكريدى ، يا سيدى ، إنها بلفنتو . وأنت على حق .

المهاجر الجديد: إذن لماذا أتيت بى إلى هذه القرية التى ليست قريتى ؟

الحوذى : حبًّا فى الجمال ! . . . حقًّا ، يا سيدى (بعد فترة) إن

ما أقوله لك يشبه إلى حد ما كلام حوذى ، ومع ذلك فهو صحيح . إن أحقر المهن تكون فى بعض الأحيان أسماها ، ومهنة الحوذى هى مهنة تأمل الطبيعة . إن المرء وهو يقطع المسافات (يشير إلى العربة) بهذه التى تشبه آلة التصوير ، لا يكف عن النظر والتعلم . إن حافر الحصان ، يا سيدى ، هو الدليل الحقيقى . لقد جئت بك إلى بلفنتو لأنها أجمل قرى العالم (مخاطباً نفسه بلهجة مسرعة) ولأن ضلع « كوكو » هو الآخر ليس قويًّا إلى حد كبير . . . ولكن هذا أمر ثانوى (مخاطباً حصانه) هيه ، كوكو ؟ (بعد فترة) لقد قمت من أجلك ، بهذا الاختيار يا سيدى .

المهاجرالجديد: (ينصت مندهشاً) .

الحوذى : (يستطرد)

منذ عدة أيام ، مثلاً ، جئت من المحطة بمهاجر ، قال لى : « أوصلنى إلى كورليتو ، لدى وقت بسيط جدًّا » . وفى الطريق بينما كان حصانى يعدو ، فكرت هكذا : قرية بقرية ، ما دمت سأريه أجمل قرية فى المنطقة . ولما كان الوقت ليلاً ، وكان هو فى عجلة من أمره ، ولكنه كان بشوشاً ، قطعت الطريق عبر الحقول ، تاركاً كورليتو

أمامى وتوقفت هنا بالضبط . وعندما نزل من العربة ، أخذته النشوة . وراح يتطلع حوله طويلاً ، دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، وراح كالأعمى يتحسس كل شىء بيديه . وعندما حانت ساعة الرحيل ، تصور : رفض . فتركته بالقرب من هذه العين . (فترة صمت) أما هو ، فلم يكن يخشى الكلاب . (بلهجة تتفق ومهنته) ولا بد أن أوتوبيس « فيبرتا » قد عاد به فى الصباح . (فترة صمت) ولا شك أنه قد صفح عنى الآن .

المهاجر الجديد : وهكذا تتصرف فى الدروب ، مثلما تتصرف فى الطرق والبقاع ، وكذلك فى مصائر الناس ؟ وتنسج منها بعد ذلك ، أيها الحوذى ، حكايات وحكايات !

الحوذى : معذرة ، معذرة ! . . . إننى آخر أصحاب العربات ، يا سيدى ، ولقد أعطيت الأولوية . . . لكل ما هو جميل . ورجل مثلك لابد أنه يدرك ذلك .

المهاجر الجديد : هأنذا بصحبة كوكو فى قرية ليست قريتى (يقلد الحوذى بطريقة طريفة) هيه ، كوكو ؟ و بصحبتك أيضاً ، سيدى الحوذى . . . حباً فى الجمال ! (يرفع ذراعيه إلى السماء) لا أدرى إذا كان يجب علىّ أن أبتسم أو أن أغضب . (يبدو أنه قد اتخذ قراره ، فيضحك

ضحكة قصيرة ، ثم يقول بعد فترة ، وهو لا يزال متطيراً)
تقول إن القديس چورج يتنزه هنا ، أثناء الليل ؟

الحوذى : نعم يا سيدى . والاثنا عشر رسولاً أيضاً ، عندما يتبسطون .

المهاجرالجديد: وما اسم هذه القرية ؟

الحوذى : بلفنتو .

المهاجرالجديد: إنها رائعة للغاية حقاً . (ساعة البرج تدق ثلاث دقات) هذه الساعة ليست مضبوطة ، أليس كذلك ؟

الحوذى : كلا ، يا سيدى ، فقد أكلها الصدأ . ولكن الأجراس تريد بأى ثمن ، أن تسمع الناس صوتها .

المهاجرالجديد: (بحنين إلى الوطن ، مخاطباً نفسه) فى « بلكريدى » عندنا ، نتيجة لعدم وجود ساعة . . . رسموا ساعة على البرج حيث الوقت دائماً إما منتصف الليل أو منتصف النهار : وقت النوم أو وقت الأكل . . (يضحك برقة ، ثم يقول حالماً) صقلية العزيزة !

الحوذى : (متأثراً) غداً ، سنذهب إلى « بلكريدى » لنرى الساعة معاً .

المهاجر الجديد: لم يعد لدى الوقت ، مع الأسف ! أيها الحوذى . فبعد غد سأغنى فى « ميلانو » . وبعد ذلك . . .

وبعد ذلك . . . سأقوم بجولة حول العالم .

الحوذى : إذن . . . فى يوم آخر ؟

المهاجرالجديد: (بحنين بالغ) نعم . . . مرة أخرى (كمن يودع أحداً) ربما . . .

الحوذى : أشعر الآن بالحرج من أنى جئت بك إلى هنا .

المهاجرالجديد: (بابتسامة خفيفة) أبداً ، أبداً ، ما دامت المسألة تتعلق بالجمال ، فنحن خالصان ، هيه !

الحوذى : (مضطرباً) هناك أناس خير منى . . . هيه ، كوكو ؟.. هيه كوكو ؟ . . أسمعت ؟

المهاجرالجديد: بسرعة إلى المحطة .

(يتجه الرجلان نحو العربة . يضىء الحوذى المصابيح) .

الحوذى : (بعد أن فتح باب العربة يقول بلهجة إعجاب ورجاء) ألا تريد أن تغنى . . مرة أخرى ؟

المهاجرالجديد: (وهو يصعد إلى العربة) :
حالاً ، عندما نصل إلى الوادى .
(يظلم المسرح . يسمع السوط وهو يقرقع ، والعربة بمصابيحها المتراقصة تتحرك ، ثم تختفى) .

يسدل ستار الختام

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٩